جامعة المنصورة
كليـة الآداب

الموسيقى في التصوف وعلاقتها بالناحية النفسية

إعـــداد

اسماء سمير كريم الشربينى

باحثة لدرجة الماجستير – قسم الفلسفة

كلية الآداب – جامعة المنصورة

إشـــراف

أ.د/ ابراهيم ابراهيم ياسين

استاذ الفلسفة الإسلامية التصوف

كلية الآداب – جامعة المنصورة

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة
العدد الثامن و الستون – يناير ٢٠٢١

الموسيقى في التصوف وعلاقتها بالناحية النفسية

اسماء سمير كريم الشربيني

ملخص البحث

في هذا البحث نتعرف على السماع وما هو السماع ، واختلف العلماء في تعريف السماع ومن هذا التعريف :هو ان السماع وارد حق يزعق القلوب الى الحق فمن اصغى اليه بحق تحقق ومن اصغى اليه بنفي تزندق .

وعرفه ابن تيمية : هو سماع القرآن الكريم ، وهذا هو السماع الذي ينبغي للمسلم ان يتعاهده ويشتغل به لا السماع عند الصوفية .

وقد اختلف الصوفية انفسهم في تعريف السماع ، ومن هذه التعريفات : ان السماع هو احدى الرياضيات الروحية التي يمارسها المريد من اجل التطهر والصفاء .

وقد ذهب الزهاد الاوائل الى ان السماع الذي يتدبر معانيه ويتفهمه المريد هو سماع القرآن الكريم ، اما اذا كان السماع من اجل التلذذ او شهوة فهذا ما يرفضه الزهاد الاوائل .

وقد قسموا اهل السماع الى ثلاثة طبقات :

طبقة العوام وهم من يحرم عليهم السماع لعدم مجاهداتهم وغفلة القلب ، وطبقة المريدين المبتدئين مكروه لهم السماع خوفا عليهم من بقاء نفوسهم فيه ، وطبقة العارفين وهم اهل الصفا واليقظة .

والسماع عند صوفية القرنين الثالث والرابع قاموا بتعميق معنى السماع ، فهو ان السماع عندهم اصبح وسيلة واداة لاظهار حالة كامنة في القلب من خلال الاستماع الى الاشعار والنغمات الموزونة .

واختلف الفقهاء في السماع عند الصوفية هل هو حلال ام حرام

وقد هاجم الفقهاء الصوفية الذين يستمعون الى الغناء والموسيقى بالدف

ومنهم من قسم السماع على حسب حالة المستمع ورأى بعض ائمة المسلمين التحرز من السماع والاقلال منه خوفا من ان يؤدي الى شرور النفس وفسادها ، اما الاباحة فللمستمع الذي يتوفر فيه الرغبة في الطاعات وتذكره بما اعده الله لعباده المتقين .

ولا يعرف الحلة التي يصل اليها الصوفي الا من سلك نفس الطريق ، لانها مجاهدات النفس وتختلف من شخص الى اخر .

Abctract :

In this study, we learn about hearing and what hearing is, and scholars differed in the definition of hearing. From this definition: It is that hearing is a right that strikes the hearts to the truth.

Ibn Taymiyyah knew it: It is listening to the Noble Qur'an, and this is the listening that a Muslim should observe and engage in, not listening to Sufis.

Sufis themselves differed in the definition of listening, and among these definitions: that hearing is one of the spiritual mathematics that the disciple practices for the sake of purification and serenity.

The early ascetic went to the fact that the hearing that manages its meanings and that the aspirant understands is the hearing of the Noble Qur'an, but if the hearing is for the sake of pleasure or desire, this is what the first ascetic rejects.

The people of Sama 'were divided into three classes:

The commoners class are those who are forbidden to listen because they are not striving and ignorance of the heart, and the class of novice devotees are disliked to listen, fearing that their souls will remain in it, and the class of knowledgeable people are the people of purity and vigilance.

According to the Sufis of the third and fourth centuries, hearing has deepened the meaning of hearing, as it is for them that hearing has become a means and a tool for showing an underlying condition in the heart by listening to poems and measured tones.

The jurists differed as to whether it is permissible or forbidden when hearing Sufis

He attacked Sufi jurists who listen to singing and music with a tambourine

Some of them divided hearing according to the state of the listener, and some Muslim imams saw to be careful about hearing and reduce it for fear that it leads to the evils of the soul and its corruption.

The suit that the Sufi is reaching is only known to those who follow the same path, because it is striving for the soul and differs from one person to another

الموسيقى عند الصوفية :

هي موسيقى تعبدية روحية مستوحاه من اعمال شعراء الصوفية المسلمين امثال جلال الدين الرومي، حافظ الشيرازي وتعد الطريقة المولوية التي أسسها الأفغاني جلال الدين الرومي سنة ٢٠٧هـ الشكل الأكثر شهرة في الموسيقى الصوفية عند المتصوفة من العرب.

وتتجسد أشكال الموسيقى الصوفية في حلقات من الذكر يجتمع فيها المنشدون والدراويش مناجين ومتقربين إلى الله جلسات لا تحلو من الرقص الصوفي لكبح شهوات النفس

والرغبات الشخصية عبر الإستماع إلى الله والموسيقى والتدبر والدوران حول النفس الذي أتى مفهومها من خلال دوران الكوكب حول الشمس.

السماع الصوفي

يعد السماع الصوفي من الفنون الروحية الأصلية والمتجذرة في التربة الإسلامية من خلاله استطاع المتصوفة أن يجردوا الغناء من نخبويته ويجعلوه متداولاً بين العامة والسماع ينفتح على بقية الألوان الموسيقية فيأخذ منها ما يمكنه من الإستمرار والتطور سواء تعلق الأمر بالألحان أو لم يتم التساهل فيه هو معاني الشعر المتغنى به.

السماع من الفنون الملحقة بالذكر وأحد مقامات التصوف وهو أيضاً الغناء الذي فاضت به مواجيد المتصوفة في خلواتهم ومنها وجد طريقًا سالكًا إلى محافل العامة ليتذوقوا حلاوته، ويقوم الإنشاد أشغار مشايخ التصوف بصوت عذب ويطلق على المنشد لقصائد التصوف الملحنة (القوال) لتمييزه عن المغني العادي وقد يتم إرفاق الشعر بالموسيقى.

السماع لغة واصطلاحًا

السماع لغة: قال ابن منور: هو الغناء وقبل الذكر المسموع الحسن الجميل وكل ما تتلذذ به الأذن من صوت حسن سماع[١].

وقال الجوهري: السماع مصدر قوله سمعت الشئ سمعًا وسماعًا[٢].

السماع اصطلاحًا: عرفه الصوفية بأن وارد حق يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى إلي بحق تحقق ومن أصغى إلي بنفس تزندق[٣].

وحكى القشيري عن بعض الصوفية قول في تعريف السماع بروق تلمع ثم تخمد وأنوار تبدوا ثم تخفي[٤].

وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني أن الحديث والكلام الذي هو سنة الل عز وجل مع العلماء والواص من الأولياء والأبدال والأعيان الذين وقفوا مع القول والأبيات والأشعار التي تثير انطباع وتهيج العشاق بالطباع لا بالقلوب والأرواح[٥].

وللسماع تعريف شرعي عن السلف: فابن تيمية رحمه الله يجعل السماع الشرعي هو سماع القرآن، فيقول فإن الله سبحانه شرع للأمة ما أغناهم به بما لم يشرعه وسماع القرآن الذي شرع لهم في الصلاة التي هي عماد دينهم وفي غير الصلاة مجتمعين ومنفردين.

وهذا هو السماع الذي ينبغي للمسلم أن يتعاهده ويشتغل به لا السماع عند الصوفية، الذي هو بمعنى الغناء والطرب وما يفضي إليه من رقص وصياح.

تعريف آخر للسماع

السماع لغة هو: كل ما إلتذته الأذن من صوت حسن[٦].

السماع اصطلاحًا: عرفه ذو النون المصري بقوله: وارد حق يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق ومن أصغى إليه بنفس تزندق[٧].

وقال أبو بكر الكلاباذي: هو استجمام من تعب الوقت وتنفس لأرباب الأحوال واستحضار الأسرار لذوي الأشغال[٨].

صلة السماع بالناحية النفسية

تمهيد

أولاً: شعور الصوفي بالسماع

ثانيًا: السماع والإستعداد النفسي

ثالثاً: السماع والرياضات الروحية

رابعًا: السماع وتأثيره في نفس المستمع (الموسيقى – الحركة – الرقص – تقطيع الخرقة)

يشرح لنا أرسطو كيف تتم عملية السماع فيقرر أن الأذن هي العضو الخاص بالسمع وأن الحيوان لا يستطيع أن يسمع بجميع أجزا جسمه، ذلك لوجود هواء بداخل الأذن يتحرك بتحرك الهوا الخارجي، وهذا ما يكده بقوله: "هناك هواء يوجد متحداً اتحاداً طبيعيًا بعضو السمع، وحيث أن عضو السمع في الهوا، فإذا تحرك الهواء الخارجي تحرك الهواء الموجود دال الأذن كذلك، وهذا هو السبب أن الحيوان لا يسمع بجميع مواضع جسمه"[٩].

مما سبق يتضح لنا أن آلة السماع هي الأذن، وأن باقي الأجزاء الموجودة بالجسم لا تتمتع بالسماع، لما في الأذن من هواء داخلي يتحرك بتحرك الهواء الخارجي، وأن الأصوات نوعان: طبيعية، وغير طبيعية، والطبيعية هي أصوات الريح والخشب والجمادات، أما الغير طبيعية فهي أصوات الناس سوا كانت مفهومة كالكلام أم غير مفهومة كالضحك والبكاء.

ولحاسة السمع ما للحواس الأخرى من قيمة عقلية فهي تدرك الأصوات البعيدة مما يتيح فرصة الاستعداد لمواجهة الموقف بطريقة ناجحة، كما أن السمع أيضاً وسيلة من وسائل الإدراك والأمن وهو يفوز بذلك على حاسة البصر، وهذا ما يوضحه علم النفس الفسيولوجي: "السمع كالبصر، يتيح لنا استقبال المؤثرات الحسية الناشئة من مصادر بعيدة، ومع أن صلاح أحوالنا أقل اعتماداً على رهافة أسماعنا منه على حدة أبصارنا إلا أن السمع وسيلة هامة للإدراك والأمن"[١٠].

هذا هو التعريف العام لمفهوم السماع وآلته من وجهة نظر علماء النفس، أما عن تعريف السماع من الناحية الشرعية، فهو ما سوف نتعرف عليه من خلال عرض آراء للأئمة الأربعة، وكيف نحكم على أن هذا السماع شرعي أم لا.

السماع والكتاب والسنة

السماع من وجهة نظر الشرع واعتماده على مصدر إسلامي من الكتاب والسنة فهو أن "السمع احساس الأذن بالأصوات، والسمع كمفردة من مفردات القرآن جاء في ٢٢ موضعًا[١١]" قال تعالى "إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ"[١٢]، وقوله تعالى: "الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا"[١٣]، أو يكون السمع بمعنى الأذن نفسا ومنها قوله تعالى: "خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"[١٤].

أو يكون بمعنى الإدراك والفهم عن طريق المسموعات أو يكون السمع كذلك بمعنى الطاعة، قال تعالى: " وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ"[١٥].

كما ورد عدد من الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على السماع وتدعو إليه، منها قول البراء بن عازب: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "حسنوا القرآن بأصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا[١٦]"

وينصح الرسول صلى الله عليه وسلم القارئ بتحسين الصوت في القرآءة ذلك لأن الصوت الحسن يجذب انتباه السامع ويجعله يتفهم معانيه.

وفي البر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر عائشة رضي الله عنها فأبطأت عليه، فقال ما حبسك؟ فقالت: يا رسول الله كنت أسمع قراة رجل ما سمعت أحسن صوتاً منه – فقام صلى الله عليه وسلم – حتى استمع إليه طويلاً ثم رجع فقال: "هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله[١٧]". واستمع رسول الله أيضاً إلى قراءة أبي موسى الأشعري فقال: "لقد أوتي هذا مزمارا من مزامير آل داود" فبلغ ذلك أبا موسى فقال "يا رسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرت لك تحبيرا"[١٨]، [١٩].

فالسماع لا يقتصر على القرآن الكريم فقط وإنما يمتد ليشمل سماع الأشعار والأناشيد الدينية التي تثير السعادة والبهجة الروحية من خلال القيام بالواجبات والأوامر الإلهية، وهذا ما يؤيده الحديث الشريف: روى الأوزاعي عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنهما أجمعين أن أبا بكر – رضي الل تعالى عنه – دخل عليها وعندها جاريتان تغنيان وتضربان على الدفين ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى بثوب فانتهرهما فكشف رسول الله عن وجه وقال: "دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد"[٢٠].

فالسماع إذن مباح شرعاً وله شواهده الصحيحة من الكتاب والسنة، وذلك ما توضحه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية السابقة ذكرها، هذا بالإضافة إلى القياس الذي قام به أئمة الفقه الأربعة في محاولة التعرف على السماع الحق (الشرعي) الذي يدعو اليه الحق تعالى وكراهة السماع الشيطاني المرج عن حدود الشرع (الغناء) فقد سئل أبو مصعب مالك بن أنس عن السماع، فقال مالك ما أدري، أهل العلم ببلدنا لا ينكرون ذلك، ولا يقعدون عنه، ولا ينكره إلا غبي جاهل أو ناسك عراقي غليظ الطبع"[٢١].

أما عن رأي الشافعي، فإنه يذكر في كتاب أدب القضاء "أن الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته[٢٢]".

إذن فالغناء نوع من أنواع اللهو والخبائث التي أنكرها الشرع ودعا إلى تركها لما فيه من اثارة الشهوة وإضاعة الأوقات في الباطل وارتكاب الذنوب، وهذا ما يوضحه أبو حنيفة عندما جعل سماع الغناء من الذنوب، وهذا ما يوضحه أبو حنيفة بقوله "ويجعله من الذنوب،

وكذلك مذهب أهل الكوفة وسفيان وحماد ابراهيم والشعبي وغيرهم...."[٢٣].

كما روي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه قال "سألت أبي عن الغناء فقال: الغناء ينبت النفاق في القلب، لا يعجبني"، ثم ذكر قول مالك "إنما يفعله عندنا الفساق"[٢٤].

أما عن اعتبار السماع من أهم شروط الإيمان، وارتباطه بالطاعة والعمل بها فليس القرآن الكريم وحده الذي ذكر ذلك وانما كذلك الانجيل والتوراة وجميع الكتب المقدسة، فإن سماع كلمة الله وقبولها لا يعني الاستماع اليها بأذن مصغية فحسب، بل يتضمن فتح القلب لها أيضاً، والعمل والطاعة لها تلك هي طاعة الإيمان التي يتطلبها سماع البشارة ، إلا أن الإنسان لا يريد أن يسمع وتلك هي درامته (مأساته، أنه أصم عن نداءات الله، وأغلق الأذن والقلب تلك هي الخطيئة التي واجهها يسوع عند اليهود: "انكم لا تطيقون الاستماع الى كلامي، من كان من الله سمع كلام الله، فاذا كنتم لا تسمعون فلأنكم لستم من الله، أن الله وحده في الواقع هو الذي يستطيع أن يفتح أذن تلميذه[٢٥]".

فإن صح فهمنا لهذه الآيات الكريمة والأحاديث وآراء الأئمة الأربعة من ناحية، ومذهب الصوفية في السماع وأنه متلف في المظهر متفق في الجوهر من ناحية أخرى، استطعنا أن نلتمس لمذهب الصوفية هنا مصدراً قرآنياً لا شبهة فيه، ولا اختلاف حوله، وهاهي أقوال الصوفية في السماع ابتداء من الزهاد الأوائل حتى الصوفية المتفلسفين في القرن السابع الهجري، تدل على أن المصادر الأساسية عندهم هي الكتاب والسنة.

معنى السماع عند زهاد القرنين: الأول والثاني للهجرة:

فإذا انتقلنا إلى تتبع معنى السماع عند زهاد القرنين: الأول والثاني للهجرة ترى أن البذور الأولى لرياضة السماع كانت موجودة عندهم، فالسماع نسمة روحية تثيرها نفحة إلهية في أصوات تعمل على هياج ما في القلوب، فإن هبت هذه النسمة على قلوب طاهرة وأرواح صاغية تحقق لهذه القلوب المعرفة الإلهية، وإن هبت على نفوس دنسة وقلوب محجوبة أثارت من داخلها الغرائز الحيوانية والنزعات الشهوانية، فالسماع، أذن، هو احدى الرياضيات الروحية التي يمارسها المريد من أجل التطهر والصفاء وهذا لا يثبت عليه إلا أقدام العلماء وقيل السماع مقدحة سلطانية لا تقع نيرانها إلا فيمن قلبه محترق بالمحبة ونفسه محترقة بالمجاهدة[٢٦].

كما يذهب الزهاد الأوائل إلى أن السماع يثير مشاعرهم في الإقبال على الله – تعالى والحب له، ولذلك قسموا الناس في السماع إلى ثلاث درجات، وأعلى هذه الدرجات هو من كان ساكناً في سماعه بحيث لا يؤدي سماعه إلى اضطراب أو اهتزاز أو غشيه، بل يتدبرون بتفهم معاني المسموع في هدو وصمت، وهذه الدرجة من السماع تثمر في القلب ما يسمى بالوجد[٢٧].

فالسماع الذي يتدبر معانيه ويتفهمه المريد هو سماع القرآن الكريم، أما اذا كان هذا السماع من أجل التلذذ أو شهوة فهذا ما يرفضه

الزهاد الأوائل خوفاً من أن يصبح عادة تشغل المريد عن عبادته ومراعاة قلبه.

وللسماع عند الصوفية شأن عظيم حتى قيل أن السماع لقوم كالغناء يتقوى به على الطي والوصال، ويثير عندهم من الشوق ما يذهب عنهم ألم الجوع ولهب العطش، وهذا لا يصلح إلا لقلب صاف من الأكدار. فإذا تطلعت نفسه إلى الغذاء عدل بها إلى السماع فأثار منه مواجيده، فشغله ذلك عن الطعام وهو أي السماع لقوم كالداء أي يصبح عادة تجعل النفس تسعى دائماً إلى تحقيق شهواتها ويذهب هيبتها، وفيه هلاك النفس وقسوة القلب وفساده، ولقوم آخرين وسيلة للترفيه والترويح عن النفس من متاعب الحياة، لهذا قيل "السماع لقوك كالغذاء ولقوم كالدواء ولقوم كالداء ولقوم مروحه"[٢٨].

كما أدرك الزهاد الأوائل أهمية الأساس العقلي للسماع، فجعلوا اهتمامهم موجهاً إليه، وذهبوا إلى أن أي سماع لا يقترن بالتعقل والتفهم والإلتزام بأوامر الشرع: فلا جدوى منه ولا طائل تحته، وهذا أعلى درجات السماع التي يؤكدها الحسن البصري ت ١١٠هـ بقوله: "فالعقل متبوع فيما لا يمنع منه الشرع والشرع مسموع فيما لا يمنع منه العقل لأن الشرع لا يرد ما يمنع منه العقل، والعقل لا يتبع فيما يمنع منه الشرع، فلذلك توجه التكليف إلى من كمل عقله[٢٩]".

فالعقل يتبع كل ما يدعو إليه الشرع من حلال أو حرام، وكذلك الشرع يسمح بكل ما يمنع منع العقل، ذلك لأن الشرع لا يرد ما يمنع منه العقل، أي أنهما وجهان لشئ واحد هو السماع الحسن.

ويربط الزهاد الأوائل أيضاً بين السماع ومجاهدة النفس إذ يجب على المريد أن يزهد في سماعه بأن يترك حظوظ الدنيا التي يثريها السماع وأن يتذكر الحق تعالى في سماعه والشوق الدائم إليه من خلال سماع القرآن الكريم وسماع الأشعار والأناشيد الدينية الت يتحثه على الطاعة والقيام بأوامر الحق ونواهيه، وتشوقه إلى الجنة وترهبه من النار، وهذا ما يؤكده قول عطاء بن أبي رباح ت ١١٥هـ: "أن من سمع فظهرت عليه صفات نفسية، وذكرته حظوظ دنياه، فالسماع عليه حرام، ومن سمع فظهر له به ذكر ربه وتذكر به أجمل ما شوق الله إليه، وأعده لأوليائه فهو له ذكر من الأذكار[٣٠]".

وهكذا يرى الزهاد الأوائل أن إباحة السماع تتوقف على نوعية السماع، فإذا كان موضوع السماع يعمل على مجاهدة النفس ويقظتها والتخلي عن أهوائها، كان هذا السماع حسناً، أي أن من صح فهمه وحسن قصده وتخلى عن الشهوات، وتطهر من دنس وخبث النفس لا يكون سماعه حراماً ولا فعله خطأ، وعن ابن جريح أنه كان يرخص في السماع "فقيل له أيؤتي به يوم في جملة حسناتك أو سيئاتك فقال لا في الحسنات ولا في السيئات لأنه شبيه باللغو[٣١]، قال تعالى: "لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ"[٣٢].

فهو من المباحات وأما الطلخانات فهو من البدع التي لا بأس بها إذا أصبحت اليتة فيها ودعت الحاجة إليها[٣٣].

فالسماع إذا على ضربين: ضرب يتعلق بالمستمع، منبعه نفس المستمع وقلبه الملوث بحب الدنيا يستمع تكلفاً لطلب جاه بأن يشار إليه بالمشيخة وغلبة الحال والوجد أو منفعة دنيوية من مال وطعام أو سمعة، وذلك مذموم لما فيه من التلبس على العامة بإظهار ما ليس فيه.

وأما الضرب الثاني فمنه محمود وهو التكلف الراجح إلى نفس السماع بأن يتكلف في تحصله وهو طلب حصو حقيقة السماع وهذا ليس بمذموم كمن يطلب الوجد بالتواجد وذلك على حد قول مالك بن دينار ت ١٣١هـ: "أن الصديقين إذا قرئ عليهم القرآن طربت قلوبهم إلى الآخرة"[٣٤].

يتضح لنا أيضاً أن الزهاد يصطنعون السماع للوصول إلى حال الوجد[٣٥] وهو حالة نفسية يشعر الإنسان خلالها بأن قلبه معلق بالحق تعالى وأن روحه تميل إلى اتصال به من خلال الشوق والحب الذي يسيطر على كل جوارحه وحينئذ تصدر عنه شهقة أو رعدة أو تفيض عينه بالدموع أو يغشى عليه، وفي نفس الوقت يفنى عن نفسه وجميع ما حوله ويبقى بالحق تعالى، وهذ يتضح من خلال استعراض بعض أحوال الزهاد، "يحكى أن ابراهيم بن أدهم ت ١٦هـ سمع قارئاً يقرأ "إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ" فاضطربت أوصاله وارتعدت[٣٦]".

وتذكر المصادر أن سفيان الثورة ت ١٦١هـ، كان يستمع إلى آيات العذاب فيطيش ويخرج هائماً، وكان يقرأ يوماً في الزوال فمر بهذه الآية: "وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ" فخرج هارباً هائماً على وجهه حتى رده اصحابه على الكوفة[٣٧].

ويذهب الصوفية إلى أن القلب إذا صفا وخلا من حب الشهوات والأهواء وعمر بحب الله واستنار بنوره من خلال سماعه للقرآن الكريم أو ذكر الحق تعالى، ظهر به الخوف والحزن على ارتكابه الذنوب والندم عليها وفاضت عيناه وبكى، وهذا يتضح من أحوال الفضيل ابن عياض ت ١٨٧هـ: "كان الفضيل من الفريق الأول إذا ذكر الله أو سمع القرآن، ظهر به الخوف والحزن وفاضت عيناه وبكى"[٣٨] فالمريد الصادق في وجده مع الحق تعالى لا تكون له إرادة بل تكون كل حركاته واهتزازاته بتوجيه من الحق تعالى، لأنه قد فنى عما سواه وشعر بالنور الإلهي في وجده.

وقد جعل بعض الزهاد ومنهم الفضيل بن عياض أهل السماع على طبقات ثلاث: طبقة العوام وهم من يحرم عليهم السماع لعدم مجاهداتهم وغفلة القلب، وطبقة المريدين المبتدئين مكروه لهم السماع خوفاً عليهم من بقاء نفوسهم فيه، وطبقة العارفين وهم أهل الصفا واليقظة القلبية في السماع، وهو مباح لهم، وهذا ما يوضحه بقوله: "السماع على العوام حرام لعدم مجاهداتهم وعلى المريدين مكروه لبقاء نفسهم، ومباح للعارفين لصفاء قلوبهم"[٣٩].

مما سبق يتضح لنا أن معنى السماع عند زهاد القرنين الأول والثاني للهجرة، هو سماع القرآن الكريم والأحاديث والأشعار الدينية التي تدعو إلى القيام بواجبات الشرع ونواهيه والتذكر الدائم بالوعد والوعيد، وهذا المعنى مستمد من العديد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية، وهو السماع المباح شرعاً عكس السماع الشيطاني الذي يدعو إلى غفلة القلب وإثارة الشهوة كما يتضح أيضاً أن القلب اذا صفا من الشهوات تمتع بمشاهدة النور الإلهي في حال الوجد.

معنى السماع عند صوفية القرنين الثالث والرابع للهجرة

لقد استخدم صوفية الإسلام في القرنين الثالث والرابع السماع أحياناً بنفس معناه الذي سبق عند زهاد القرنين الأول والثاني للهجرة إلا أنهم قاموا بتعميقها وتحليلها وأضافوا إليها العديد من المعاني، فالسماع عندهم قد أصبح وسيلة أو أداة لإظهار حالة كامنة في القلب من خلال الإستماع إلى الأشعار والنغمات الموزونة.

وأن السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه، ولكن يحرك ويهيج ما هو فيه، وهذا ما يوضحه قول أبي سليمان الداراني ت ٢١٥هـ: "السماع لا يجعل في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما هو فيه، فالترنم بالكلمات المسجعة الموزونة معتاد في مواضع لأغراض مخصوصة ترتبط بها آثار في القلب وهي سبعة مواضع، الحجيج، ما يعتاده الغزاة لتحريض الناس على الغزو، أصوات النياحة ونغماتها، الغناء في أيام العيد وفي العرس، سماع العشاق تحريكاً للشوق وتهييجاً للعشق وتسلية للنفس، سماع من أحب الله وعشقه واشتاق إلى لقائه[٤٠].

من ذلك يتضح لنا أن صوفية هذه الفترة قد حددوا بعض المواضع التي يجوز الترنم فيها بالكلمات والأشعار الموزونة، مثل الغناء في العمل والسفر، حيث اعتاد الناس استعماله في حمل الأثقال وقطع مفاوز السفر والطرق الصحراوية الطويلة ترويحاً للنفوس وتنشيطاً لها مثل حداء الراعي وراء الإبل والأغنام، وغناء الأمهات لإسكات أولادهن، والغناء في الحجيج للتعبير عن مشاعرهم برؤية البيت الحرام، وكذلك الغناء وقت الغزو لشد حماسهم واستحضار العزائم مثلما فعل المسلمون في حفر الخندق وغيرها أيام الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويذهب الصوفية أيضاً إلى أنه لكي يتحقق المريد بالسماع الحسن لا بد لهمن الالتزام بآداب السماع وتعاليمه، فمن التزم وتحقق بهذه التعاليم تحقق بالسماع الحسن، أما اذا أصغى بنفسه إلى السماع المثير لشهواتها وأهوائها تزندق وخرج عن حدود السماع الحسن، وهذا ما يشير إليه ذو النون المصري ت ٢٤٥هـ بقوله: "أنه وارد حق يزعج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق، ومن أصغى إليه بنفس تزندق[٤١]".

فالالتزام بالكتاب والسنة في الوجد الناتج عن السماع شرط أساس لا يمكن الاخلال به وإلا يصبح هذا السماع باطلاً، فمن كان قلبه ضعيفاً ملوثاً بحب الدنيا لا يصح له السماع،

ذلك لأن السماع الطيب يستلزم القلب النقي الصافي البعيد عن الإهتمام بالشهوات والأهواء، وهذا ما يؤكده قول سهل التستري ت٢٨٣هـ بقوله: "كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل فلا يصح السماع لمن قلبه يعد ملوثاً بحب الدنيا أو شهوة المجهرة[٤٢].

كما يتبين لنا أيضاً أن الزهاد الأوائل قد قسموا السماع إلى ثلاثة أقسام: العوام فسماعهم حرام عليهم خوفاً من بقاء نفوسهم في السماع واستلذاذه، ومن ثم يصبح عادة تشغلهم عن القيام بالطاعات وأوامر الحق تعالى، وسماع الزهاد وهو مباح لهم إذا كان يعمل على مجاهدتهم ويقظة قلوبهم وعدم الغفلة وقت السماع وسماع العارفين وهومستحب لهم لما فيه من حياة قلوبهم للحق تعالى، واعتباره غذاء لأرواحهم لا يمكن الإستغناء عنه، وقد أكد هذا المعنى وعمقه بعض صوفية تلك الفترة، فقد ذهب أبو القاسم الجنيد ت ٢٩٧هـ: "الناس في السماع على ثلاثة أضرب: العوام والزهاد والعارفون، فأما العوام فحرام عليهم لبقاء نفوسهم، وأما الزهاد فيباح لهم لحصول مجاهدتهم وأما أصحابنا فيستحب لهم لحياة قلوبهم"[٤٣].

ونلاحظ أن السماع عند صوفية هذا العهد يحصل به رقة القلب، وآثاره الشوق إلى لقاء الله والتشوق إلى دار القرار والخوف من عدم استقامة الظاهر والباطن حتى يستخرج السماع من قلوبهم أنواعاً من اللطايف والمعارف والمكاشفات الإلهية، وهذا ما يوضحه ابن مسروق ت٢٩٩هـ: "عندما سئل عن الرباعيات فقال: أن أبحنا لها رخصة، أي تتخطى إلى رخص، ولا أرى سماع الرباعيات فقال: إلا لمستقيم الظاهر والباطن، قوي الحال، تام العلم"[٤٤].

ومن بين هذه الأقوال المتعمقة في السماع قول أبي بكر الكناني ت٣٢٢هـ: "سماع العوام على متابعة الطبع وسماع المريدين رغبة ورهبة، وسماع الأولياء رؤية الآلاء والنعماء، وسماع العارفين على المشاهدة وسماع أهل الحقيقة على الكشف والعيان ولكل واحد من هؤلاء مصدر ومقام"[٤٥].

وكذلك يرى صوفية القرنين: الثالث والرابع أن السماع يعرض صاحب النفس الضعيفة للبلي والهلاك، أما صاحب النفس القوية من خلال مجاهدتها وقمعها وإماتة شهواتها والقلب الحي بنور الحق يكون سماعه عبرة وعظة، ذلك لأنه يتدبر معاني الكلمات المسموعة، ولا يسمع من أجل الإلتذاذ فقط، وهذا ما يشير إليه الشلبي ٣٣٤هـ: "عندما سئل عن السماع فقالظاهره فتنة وباطنه عبرة فمن عرف الإشارة حل له استماع العبرة وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية، وقيل لا يصح السماع إلا لمن كانت له نفس ميتة وقلب حي فنفسه ذبحت بسيوف المجاهدة وقلبه حي بنور الموافقة[٤٦]".

مما سبق يتضح لنا أن صوفية القرنين الثالث والرابع للهجرة قد عمقوا المعاني المختلفة للسماع عند الزهاد الأوائل وتناولوها بالتحليل والتدقيق، فهم قد تحدثوا عن السماع وارتباطه بالكتاب والسنة وفناء النفس ومجاهدتها وقت

السماع، كما أباحوا سماع الأشعار، والإنشاد الديني، وإنشاد الحجيج وعند الغزو وكل ما لا يثير كوامن النفس وشهواتها.

معنى السماع عند الصوفية السنيين

إذا نظرت في أقوال الصوفية نظرة فاحصة وجدت أنهم مختلفون في الظاهر، متفقون في الباطن، هذا الإختلاف الظاهري في أقوالهم يكشف الغطاء على اتفاقهم في حقيقة السماع فمنهم من أنكر السماع ومنهم من أجاز السماع مع ع دم الإشتغال به.

كما أشار صوفية الإسلام في هذه الفترة إلى نفس معاني السماع عند صوفية القرنين الثالث والرابع للهجرة، وهو أن السماع على ثلاث درجات، وهو الذي يكشفه أبو نصر السراج ت٣٧٨هـ "أهل السماع على ثلاث طبقات: طبقة منهم يرجعون في سماعهم إلى مخاطبات الحق لهم فيما يسمعون، وطبقة منهم يرجعون فيما يسمعون إلى مخاطبة أحوالهم ومقاماتهم فهم مربوطون بالعلم ومطالبون بالصدق، وطبقة منهم الفقراء المجردون الذين قطعوا العلايق ولم تتلوث قلوبهم بمحبة الدنيا والجمع والمنع فهم يسمعون بطيبة قلوبهم ويليق بهم السماع فهم أقرب الناس إلى السلام وأسلمهم من الفتنة وكل قلب ملوث بحب الدنيا فسماعه سماع طبع وتكلف[٤٧].

فأعلى درجات السماع عند الصوفية هي درجة المريد الذي يرى الحق تعالى فيما يسمعه، فكأنه يخاطب الحق تعالى، أما الطبقة الثانية فيسمع فيها المريد حسب المقام أو الحال الذي هو عليه، وهذه الدرجة تستلزم من السامع أن يكون صادقاً فيما يسمعه عالماً بمعاني المسموع متدبراً لما تحتويه هذه المعاني ، والطبقة الثالثة والأخيرة في السماع هي طبقة الزاهدين الذين قطعوا العلايق ولم تتعلق قلوبهم بحب الدنيا وشهواتها، فهم يسمعون سماع طبع لا تكلف أو تصنع فيه، وهذا ما أوضحه قول أبي نصر السراج السابق.

كما يتضح لنا أيضاً أن السماع عند القشيري[٤٨] ت٤٦٥هـ، كالداء لطبقة العوام لأنهم يأخذون بظاهر الأمور ولا يعرفون حق المعرفة، ذلك لأن معرفتهم ضعيفة، فإذا غلبت عليهم صفات النفس يخاف عليهم من السماع من تهييج الشهوات وإثارة الآفات المستكنة، ولقوم كالغذاء وهم الذين يفنون عن أنفسهم وجميع ما حولهم ويبقون بالحق تعالى، ولقوم وسيلة للترفيه، والترويح عن نفوسهم والصادق في طلبه مقصور الهمة على قهر نفسه وإحياء صفات القلب فيراعي أوقاته، ويعالج باطنه بما يوافقه وهذا ما يوضحه بقوله: "فاعلم أن السماع لقوم كالداء وهم العوام الذين مصدر سماعهم مكروه اللذات العاجلة فهولاء سماعهم على متابعة الطبع لأنهم يعرفون ما وراء الأمور الطبيعية، لقوم كالدواء وهم الذين يغلب السماع على نفوسهم العايقة أرواحهم عن الحضرة الإلهية باستئناسه لها، ولقوم كالغذاء وهم أرباب القلوب الداعية إلى التواب، ولقوم كالمروحة وهم ارباب البقاء تستروح أرواحهم عن نفوسهم المطمئنة بالسماع[٤٩].

ويرى الغزالي ت٥٠٥هـ أنه مهما كان للسماع من تأثير في القلب فإننا لا نستطيع أن نحكم بإباحته أو تحريمه بشكل مطلق، لأن السماع يختلف حسب الأحوال التي يقال فيها ويختلف أيضاً بحسب الأشخاص الذين يسمعون، كما يختلف أيضاً بإختلاف النغمات، فحكمه حكم ما في قلب السامع، وهذا ما يوضحه بقوله: "ومهما كان النظر في السماع باعتبار تأثيره في القلب لم يجز أن يحكم فيه مطلقاً بإباحته أو تحريمه بل يختلف ذلك بالأحوال والأشخاص واختلاف طرق النغمات فحكمه حكم ما في القلب"[٥٠].

كما يذهب الغزالي إلى أنه كما أن حاسة الشم تستلذ بالروائح الجميلة، وحاسة البصر تستلذ بالنظر إلى الحضرة فإن استلذاذ السماع بالأصوات الجميلة والنغم الطيب مباح شرعاً، وهذا ما يوضحه بقوله: "السماع هو استماع صوت طيب موزون مفهوم المعنى، محرك للقلب في جملته إلا التلذذ حاسة السمع والقلب، فهو كتلذذ حاسة البصر بالنظر إلى الحضرة التذاذ القلب به[٥١].

ويكشف الغزالي عن دلالة السماع بالنسبة للإنسان خاصة فيذهب إلى أن السماع للسماع تأثيراً غريباً على الإنسان، فإن لم يتأثر الإنسان بما يسمع فهو ناقص العقل بعيد عن الشفافية والروحانية ويصبح مثل الجمادات التي لا تتأثر بالسماع.

والسماع له تأثير أيضاً على الحيوانات والطيور، فقد كانت الطير تقف على رأس داود عليه السلام لاستلذاذها بصوته، وإذا كان الطير يتأثر بالسماع، وهذا ما يوضحه الغزالي بقوله: "فإذا للسماع تأثير غريب، ومن لم يحركه السماع فهو ناقص العقل مائل عن الإعتدال بعيد عن الروحانية، وكان الطير يقف على رأس داود عليه السلام لاستماعه صوته"[٥٢].

ويعتبر ابن حزم الأندلسي ت ٤٥٦هـ من المفكرين المسلمين الذين أباحوا السماع؛ ذلك لأن الإنسان في الإسلام عند ابن حزم روح وعقل وجسم، ويجب أن يعطى لكل منهم حقه في الغذاء اللازم له، فالطعام غذاء للجسم والمعرفة غذاء للعقل والسماع غذاء للروح وذلك من أجل انسجام الحياة وتكاملها.

فسماع القرآن الكريم أمر لا جدال حوله مثله في ذلك مثل باقي علماء الدين والصوفية، أما عن موقفه من سماع الغناء، فابن حزم يرى أن الغناء "فن سمعي من الفنون الجميلة، مباح ولكن تركه أفضل، كسائر فضول الدنيا التي أباحها الدين الإسلامي الحنيف، ويستند ابن حزم في قوله بإباحة الغناء إلى النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث المروية عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، في عدم تحريمها الغناء (فلا يحل تحريم شئ، ولا إباحته إلا بنص من الله تعالى أو من رسوله عليه السلام لأنه اخبار عن الله تعالى، ولا يجوز أن يخبر عنه تعالى إلا بالنص الذي لا شك فيه)[٥٣].

وعلى ذلك فسماع اغلناء عند ابن حزم لا يتعارض بحال من الأحوال مع قواعد الشريعة الإسلامية التي تدعو إلى الترويح عن النفس

الإنسانية إعانة لها على العمل، وسماع الغناء يخفف عن الإنسان أعباء الفكر ومتاعب الحياة، والقلوب اذا كرهت عميت وترويحها إعانة لها على الجد ومواصلة الطاعات، وهذا ما يؤكده بقوله: "اللهو مروح للقلوب مخفف عن الإنسان أعباء الفكر، والقلوب اذا كرهت عميت، وترويحها إعانة لها على الجد، فالمواظب على التفقه مثلاً ينبغي أن يتعطل يوماً في الأسبوع ويفضل له يوم الجمعة لأن عطلة يوم تبعث على النشاط في سائر الأيام، فالعطلة معينة على العمل، واللهو معين على الجد"[٥٤].

وعلى ذلك فسماع الغناء عند ابن حزم لا يحرم شرعاً ما دام يدعوا إلى العمل والجد ويلتزم فيه صاحبه بآداب الشريعة أي إباحة سماع الغناء الغير مثير للشهوة، ومن الأحاديث النبوية التي يستند إليها ابن حزم في دعوته إلى إباحة الغناء، "الحديث المروي عن السيدة عائشة أم المؤمنين أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان تغنيان في أيام منى وتضربان بالدفوف ورسول الله مسجى بثوبه فنهرهما أبو بكر فكشف رسول الله عن وجهه فقال: "دعهما يا أبا بكر فإنهما في أيام عيد". والحديث المروي عن أبي داود السجستاني عن نافع قال: سمع ابن عمر مزمارا فوضع أصبعيه في أذنيه ونأى عن الطريق، وقال يا نافع هل تسمع شيئاً؟ قال: لا فرفع أصبعيه وقال: كنت مع رسول الله فسمع مثل هذا، فصنع مثل هذا، فلو كان حراماً ما أباح رسول الله لابن عمر سماعه ولا أباح ابن عمر لنافع سماعه...."[٥٥].

كان ابن حزم يهاجم القائلين بتحريم سماع الغناء مستنداً في ذلك إلى الأحاديث النبوية الصحيحة والتشكيك في الأحاديث الغير سليمة ، ومن بين هذه الأحاديث الغير صحيحة "ما رواه سعيد بن رزين عن أخيه عن عائشة أم المؤمنين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " أن المغنية وبيعها وثمنها وتعليمها والإستماع إليها"، يقول ابن حزم عن هذا الحديث أن فيه سعيد بن أبي رزين عن أخيه، وكلاهما لا يدري أحد من هما"؟[٥٦]. أيأن ابن حزم لا يصدق إلا بالأحاديث المخرجة عن الفقهاء والعلماء المعروفين والغير قابلين للتشكيك في أقوالهم مثل البخاري ومسلم وابن ماجه.

ويتفق حجة الإسلام الغزالي مع ابن حزم في إباحة سماع الغناء والاستماع إلى الصوت الطيب الشجي خاصة وأنه لم يرد في تحريمه نص صريح من النصوص الدينية لما تثيره من الفرح والسرور والطرب، وبالتالي إعانة للإنسان على العمل والجد والإجتهاد، وفي هذا يقول ابن حزم: "أما الغناء في مجالس السماع الصوفي، لو لم يكن جائزاً لما أباحه الإمام الغزالي حجة الإسلام ولما قال بحله وهو فقيه متشدد إلى درجة كبيرة وقد هاجم الفلسفة وكفر الكثير من أقوال الفلاسفة"[٥٧].

فسماع الصوت الطيب أمر حلال بالنص والقياس، هذا ما يؤكده ابن حزم ويتفق معه الغزالي في ذلك بقوله "لا ينبغي أن يحرم سماع الصوت الطيب بل هو حلال بالنص والقياس ويدل على إباحة سماع الصوت الحسن فهو

امتنان الله على عباده به، إذ قال تعالى في سورة فاطر الآية رقم (١) "يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ" فقيل" هو الصوت الحسن[٥٨].

ومن هنا يتفق ابن حزم مع الصوفية في إباحة السماع الطيب ويهاجم الذين يحرمون الغناء على أساس أنه لم يرد نص صريح أو حديث يمنع من سماعه مثل غناء العرس والحجيج والغزو والإنشاد الديني.

اختلف الصوفية في الظاهر حول معاني السماع إلا أن المعنى الحقيقي السماع واحد عندهم، ويرجع اختلافهم وتباينهم إلى أن بعضهم رفض السماع حتى لا يكون سبباً من أسباب انتشار الفساد والأمراض والنزوات النفسية، بينما البعض الآخر أجاز السمع على إعتبار أنه من أهم الوسائل التي تحث على الطاعة والقيام بواجبات الشرع ونواهيه، وهذا ما يوضحه الدكتور قاسم غني بقوله: "والحاصل أن السماع انتشر بين الصوفية وسبب الانشقاق والإختلاف بينهم فعد جماعة السماع أمراً مشروعاً ومستحباً من قبيل العبادات، وعده جماعة آخرون أمراً مخالفاً للشرع وبدعة تحض على المعاصي لأن زمرة من المبتدئين وغير الناضجين يعتبرون محافل السماع مجالاً للأنس والمتعة واظهار النزوات النفسانية"[٥٩].

ومن الصوفية السنيين الذين أباحو السماع أيضاً عبد القادر الجيلاني[٦٠] ت٥٦١هـ حيث يرى مثل باقي الصوفية أن السماع الحقيقي هو القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وسماع العلم في مجالس العلماء والابدال وما خلا ذلك كله فهو مكروه وباطل عنده ولعل ما يؤكده قوله: "السماع الحقيقي هو الحديث والكلام الذي هو سنة الله عز وجل مع العلماء به والخواص من الأولياء والابدال، وخلت بواطنهم من ذلك كله"[٦١].

وإذا كان الجيلاني قد كره سماع الألحان والغناء واعتبر أن السماع الحقيقي هو القرآن الكريم والأحاديث النبوية مثل باقي الصوفية، فإن أحمد الرفاعي ت٥٧٨هـ يرى أن سماع الألحان والأشعار يوفر الرغبة في القيام بأوامر الحق تعالى ويحمل المستمع على التحرر من غفلة القلب وقسوته التي تسيطر عليه ويحمله إلى صفاء القلب ورقته، والتحرر من زلات النفس وشهواتها، وهذا ما يؤكده بقوله: سماع الألحان يوفر الرغبة في الطاعات ويرفع إلى ما أعد الله لعباده من الدرجات ويحض المستمع على التحرر من الزلات ويؤدي قلبه إلى صفاء ...."[٦٢] .

وإذا انتقلنا إلى معنى السماع عند الإمام الشاذلي رحمه الله[٦٣] نجد أنه من القائلين بعدم إباحة السماع لأهل الطريق، مثله في ذلك مثل باقي الصوفية السنيين في قولهم، اذا كان السمع من أجل اللهو والتسلية وسرور القلب فإن في ذلك جفاء وخروج عن حدود الشرع، أما إذا كان السماع بعيداً عن اللهو وشهوات النفس فهو ليس مكروهاً، وهذا ما يوضحه ابم عطاء الله اذ يقول "قيل لسيدي أبي الحسن يا سيدي ألا تحب السماع؟ فقال السماع من الخلق جفاء"[٦٤]، أما عن كراهة أبي الحسن الشاذلي للسماع من الخلق واعتباره جفاء يقول الحافظ جلال الدين

السيوطي: "وكان الشيخ ابو الحسن رضي الله عنه ليس في طريق السماع"[٦٥] فأبو الحسن الشاذلي يقترب من الإمام الغزالي في الأخذ والتقيد بلكتاب والسنة في كل أحواله وأموره.

ويضيف ابن عطاء الله السكندري ت٧٠٧هـ وهو صوفي له مكانته في التصوف السني معنى جديداً هو اعتبار السماع مقياساً للخير والشر. فالأنسان الكامل ينقش السماع في قلبه الأمور والأحوال الربانية والصفات والأخلاق الحميدة، أما الإنسان الناقص العقل ينقش السماع في قلبه الأمور والأحوال الشيطانية والنفسانية ولم يبق بعده إلا القسوة والغلظة والحرص والطمع وغير ذلك من الصفات الذميمة، بقوله: "السماع نقاش القلوب فيخرج ما فيها من خير وشر كمن ينقش على الماء فيخرجه أن كان صافياً شرب وإن كان مغيراً طرح"[٦٦].

مما سبق يتضح لنا أن معنى السماع عند أغلب الصوفية السنيين هو الإلتزام بالكتاب والسنة فيما يسمع، وعدم تحريم سماع الغناء الملتزم بآداب الشريعة، واعتبار السماع مقياس الخير والشر والحكم على المسموع، أما عن ارتباط السماع بالوجود واعتبار أن الوجود الحق لله تعالى وأن المريد في وقت سماعه لا يرى ولا يحس بوجوده ولا بأي شئ من الموجودات، هذا ما أوضحه الصوفية المتفلسفون من أصحاب الوحدة القائلين بالفناء والبقاء، أي بقاء الحق تعالى وفناء ما سواه من المحدثات.

معنى السماع عند الصوفية المتفلسفين منذ القرنين السادس والسابع الهجريين

استخدم الصوفية المتفلسفون في القرنين: السادس والسابع الهجريين السماع أحياناً بنفس معانيه السابقة عند السابقين عليهم، من أن العبد لابد وأن يفنى عن سماع ما سوى الحق تعالى، وتفريغ خاطره من كل شاغل يشغله عن لحق تعالى وقت السماع، وذلك لأن الجوارح اذا لم تتفرغ وتفنى عن كل ما يشغله وتتحلى بالصفات والأسماء الإلهية، لا يتحقق لها الوجود، وهذا ما يوضحه ابن عربي ت٦٣٨هـ بقوله: "أصل حصول هذه المنازل تفريغ الخاطر من كل شاغل يشغلك عن تحققك بما سمعت أو رأيت أو تكلمت في أي مقام كنت من أعمال الجوارح فإن لم تتفرغ الخواطر للسماع لم تتفرغ الأعضاء للتخلق واذا لم يصح التخلق لم يكن التحقق، فاسع يا بني في تفريغ الخاطر المراد منك في أي مكان كنت"[٦٧].

ولهذا يهاجم ابن عربي دخول جلسات السماع من هم ليسوا من الصوفية سواء كانوا من العامة أو المريدين الذين لم يصلوا إلى مراتب الكمال الصوفي، خوفاً عليهم من أن يؤدي حضورهم هذه المجالس إلى اثارة شهوة النفس وعدم التحكم فيها، اذ يقول ابن عربي "تجري جلسة السماع في زاوية لا يدخلها العامة ولا يغشاها إلا الصوفية من أهل الطريقة ويمنع حضورها من ليسوا من أصحاب الطريقة والمريدون المبتدئون في أول الطريق الذين

يعجزون عن تلقي تجربة الأحوال الصوفية العالية"[٦٨].

ويعلل ابن عربي عدم حضور العامة والمريدين المبتدئين في مجالس السماع، بأنهم يشوشون على العابدين أصحاب المراتب الكاملة من عدم التدبر والتفكير في معاني لمسموع، كما أنهم قد يكونون عائقاً عن تحقيق الاحتشاد النفسي اللازم لهذا التفكير الديني. فالصمت والسكوت من آداب مجالس السماع، وهذا ما يوضحه ابن عربي بقوله: "وهي تجنب أن يؤدي العامة أو غير المشاركين في نفس الأفكار والمشاعر والأماني – يؤدي إلى التشويش على نفوس العابدين والحيلولة بينهم وبين الوصول إلى الإحتشاد النفسي اللازم للتفكير والانفعال الديني، بسبب عدم الانتباه وانشغال الخاطر بأمور أخرى"[٦٩].

واذا كان صوفية القرنين الثالث والرابع للهجرة ومن بعدهم من الصوفية السنيين قد أباحوا السماع الطيب وكرهوا سماع الغناء بالموسيقى والإيقاع فإن ابن عربي سلك هذا المسلك، من حيث أنه رفض دخول السالكين المريدين الذين لم يبلغوا مرتبة الكمال مجالس السماع، حتى تثير هذه المجالس أغواء الشيطان ووساوسه، وإنما هذه المجالس تتمتع بالهدوء والتفكير في معاني المسموع، حتى يحدث لبعض المريدين حالة وجد، وحتى لو كان الشخص صادقاً، وهو أمر نادر الوقوع، فإنها تدل على التحلي بالنعم الإلهية لا بالله ذاته.

ومن ثم فإن ابن عربي كان يفضل دائماً سماع القرآن الكريم في هدوء وخشوع، دون الحاجة إلى الآلات الموسيقية التي تثير الشهوة ومن ثم تبعد النفس عن التعبد الحسي، فاستعمال الموسيقى في السماع من الأمو المستحدثة الخارجة على الشريعة الإسلامية، ولهذا هاجم ابن عربي هذه المظاهر، "وابن عربي الذي نشأ في الأندلس في وسط زاهد صارم، لا يكتم نفوره من هذا المشهد فضلاً عن ألوان الفساد الأخرى للسماع، مما كان منتشراً في الشرق، مثل التصفيق الإيقاعي والرقص وتمزيق الثياب في أوج الجذبة وكل هذه المظاهر الخارجية للتعبد الحسي"[٧٠].

لا شك أن سماع آيات القرآن الكريم لها مكانة خاصة ومنزلة رفيعة، ولهذا أمرنا الحق تعالى بسماع القرآن والإنصات له في قوله سبحانه: "وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"[٧١]، وقوله تعالى: "إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا"[٧٢]، ولهذا فإن ابن عربي "يفضل دائماً آيات القرآن الكريم تتلى بخشوع، عن إنشاد الشعر العربي، الحافل بالإشارات والايحاءات الشهوانية التي يصعب تجنب عواقبها ومن شأنه أنه يبعث في النفس الرغبة في التعبد الحسي"[٧٣].

ويذهب ابن عربي الذي إلى أن المريد القوي في سماعه لا يسمح لنفسه بأن تسمع أصواتاً أو ايحاءات دون البقاء.... ذلك لأن هذه الحالة تعد حالة شيطانية ليست نتيجة لوارد

إلهي، ولهذا يجب على المريد في سماعه أن يكون منتبه القلب لما يسمع من السماع الحق "السماع هو الانتباه بالقلب إلى ما يحمد شرعاً"[٧٤].

وبما أن السماع عند ابن عربي نوعان: حيث ربط السماع بالقول بالوحدة الوجودية، اذ يرى ن هناك سماعاً مطلقاً هو سماع الكلام الإلهي؛ ذلك لأن وجود الحق تعالى أيضاً مطلق. وسماع مقيد وهو ذلك السماع المقيد والمرتبط بالنغمتا مثل سماع الأشعار والموسيقى، ولهذه النغمات تأثيرها البين في لطباع، فلا يستطيع أحد أن يدفع عن نفسه عند ورود هذه النغمات وتعلق السمع بها، فسلطانها قوي ولهذا فإن ذلك السماع لا بد أن يتركه الأكابر أما السماع المطلق لا يمكن تركه، ذلك لأن السماع الدال على وجود الحق المطلق الوجود.

واذا كان ابن عربي يكره السماع المقيد يرى أن ذلك السماع لم يرد شئ في تحريمه، وإنما يكرهه خوفا من إثارة الشهوة، والهوى في صاحب النفس الضعيفة، أما الرجل المتمكن من نفسه فلا يؤثر فيه ذلك السماع بشئ، ولهذا يقول ابن عربي: "فسماع الحق مطلق كما أن وجوده مطلق وتميزه عسير وللنغمات في الكلام الإلهي والقول أصل تستند إليه..، ولهذا لها القوة والتأثير في الطباع فلا يستطيع أحد أن يدفع عن نفسه ورود النغمة وتعلق السمع بها، إذا صادفت محلها ذلك الطرب والأثر لذي يجده السامع في نفسه فسلطانها قوي وذلك القوة أصلها الذي تستند إليه[٧٥].

فالسامع المحق اذن يأخذ المعاني من الصوت ولا يلتفت إلى النغمة، أما من سمع على الهوى والشهوة فهو لعب ولهو، ومن سمع باستخراج الفهم ومشاهدة العلم على معاني صفات الحق، وسمع تدبر لهذه المعاني كان محقاً في سماعه، وهذا سماع أهل المعرفة الإلهية، وهذا ما سبق أن أشار إليه الصوفية السنيون مثل عبد القادر الجيلاني، والفناء في إخلاصه وسماعه حتى يتحقق له الوجود بالسماع الحق، ولذلك يقول: "يا غلام كم يقال لك ولا تسمع وكم تسمع ولا تفهم، وكم تفهم ولا تعمل، وكم تعمل ولا تخلص، ولا تغيب في إخلاصك ووجودك[٧٦]"

ويعلل الدكتور ابو الوفا التفتازاني إباحة الصوفية للسماع، من حيث أنه يعين المريد على الطاعات وصفاء قلبه من وساوس النفس وخنسها، كما أنه يقوي الوجد في نفس السالك من خلال صفاء قلبه والقرب من التعبد الحسي "فمن كلام أولئك الصوفية الخلص يتبين لنا أن السماع عندهم يعين على الطاعات وتجنب الزلات، وصفاء الواردات، وهو يقوي الوجد في نفس المستمع، وهو فوق هذا وذاك استجمام للسالك، وتنفس له، ومعين له على استحضار ما تأخر عنه في السلوك"[٧٧].

واذا كان ابن سبعين[٧٨] يتفق مع الصوفية السابقين عليه في القول بأن السماع هو استجمام وترفه للسالك من متعاب الحياة، ومعين له على القيام بالطاعات والأوامر الإلهية، إلا أنه يجعل السماع وسيلة وأداة تعين النفس على التذكر

بعالم المثل، وهو عالم النفس قبل أن تحل بالبدن الذي يساعدها على تنفيذ أهوائها وشهواتها.

ومن ثم فابن سبعين يفلسف السماع ويفسره من خلال القول بالوحدة المطلقة وهو تعلق النفس بالنظام القديم، وهذا ما يوضحه الأستاذ الدكتور التفتازاني من خلال شرحه لمعنى السماع عند ابن سبعين بقوله: "أما ابن سبعين فيتفق مع أولئك الصوفية الذين أشرنا إليهم في أن السماع وسيلة إلى رد الفائت من الأحوال، وحفظها، وإلى راحة الفقراء في سلوكهم، ولكنه يختلف معهم في أنه يفلسف السماع على طريقته، فيجعل تلك الراحة التي تحدث للنفس في السماع نتيجة تهيؤها لقبول الأمر الذي لا من جنس ما يكتسب ويعني بذلك علم لتحقيق، وتعلقها بالنظام القديم الذي هو عين الوحدة المطلقة فيقول ابن سبعين: "والسماع يكون في وقت الحاجة إليه.... لأن السماع يطلب به خمس فضائل: أولهما رد الفائت من الأحوال، والثاني حفظ ما يحث الملكة، والثالث استجلاب ما لم يفهم بالمدرك الفقير "لعله يعني به العقل"، ورابعهما حديث النفس بالأمر الذي لا من جنس ما يكتسب، وخامسهما أحداث راحة الفقراء لأن القلوب في السماع منشرحة تنظر ما يخلق فيها وما يحدث عنها من النظام القديم أي الوحدة المطلقة"[٧٩].

مما سبق يتضح لنا أن السماع في ظاهره فتنة وإثارة للشهوة والهوى، لذا جعل ابن سبعين مثل باقي الصوفية السماع في وقت الحاجة إليه فقط، حيث لا يصبح عادة تخرج السالك عن حدود الشرع، أما السماع في باطنه إثارة لما يكنه القلب من مظاهر الخوف والتشويق والترهيب نتيجة لتفهمه لمعاني المسموع، فالسماع المحق هو إخلاص النية ويقين القلب وصدقه لما يسمع، وفناؤه عن كل ما يشغله عن لسماع وقت السماع، ووجوده بالصفات والأسماء والمعارف الإلهية، "وأما من اتصفت نفسه بالصفات القلبية فيكون حاسة سمعه تبعاً لحقيقة سمع قلبه، فلا يستمع في الظاهر شيئاً إلا وقد سمع فيه من القلب أشياء فتارة يسمع من مجرد الصوت حقائق الترغيب والتشويق، ولطائف المخاطبات، أو الترهيب والتخويف ومستلذات المعاتبات، وتارة يسمع الكلمات فيسبق السمع الباطني السمع الظاهري فيتغير مدرك الظاهر"[٨٠].

كما يذهب ابن سبعين إلى أن السمع لابد أن يصرف إلى سماع آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية والمواعظ والأمور التي تذكر بالله تعالى وبالوعد والوعيد، بدلا من انصراف العبد إلى سماع الشعر بالألحان والنغمات الحسنة بقوله "السمع الذي كان يوصل له الألحان والنغمات الحسنة ينصرف إلى سماع كتاب الله تعالى الذي هو كلامه وسماع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماع المواعظ والأمور المذكرة بالله عز وجل[٨١]".

فكما أن ابن سبعين يذهب إلى إباحة الشعر والغناء على القدر المعقول فإن ابن عربي يذهب إلى ذلك بقوله: "فإن لم يحرمه بل أبحنا الشعر والغناء على القدر لذي جاءت به الشريعة[٨٢]".

كذلك يذهب ابن عربي إلى أن المدعي للسماع والوجد الناتج عن السماع إذا لم يكن صادقاً في سماعه ووجده وما يصدر عنه من حركات واهتزازات وصرخت، كان هذا العبد يتخذ دينه لعبا ولهوا ويعتبر ما يصدر عنه ما هو إلا تعبير وتنفيس عن لذة شيطانية، مثله في ذلك مثل راعي الغنم في نعيقه، وهذا ما يؤكده ابن عربي في قوله: "وأما أهل السماع والوجد في هذه البلاد فقد اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لا تسمع إلا من يقول لك رأيت الحق وقال لي وفعل وصنع ثم تطالبه بحقيقة منها أو سر استفاده في شحطه فلا تجد إلا لذة نفسانية وشهوة شيطانية يصرخ على لسانه الشيطان فيصعق ما دام المغرور ينهق فلا أشبههم إلا براعي غنم ينعق فتقبل فتقبل وتدبر بتعميقه"[٨٣]، فابن عرلابي يهاجم الصوفية في السماع لما في ذلك من خوف على أصحاب النفوس الضعيفة من إغواء الشيطان ومطامعه.

ولتلاميذ ابن عربي كلام في السماع، ومنهم عبد الغني النابلسي صاحب كتاب الحديقة الندية في شرح الطريقة المحمدية، الذي يوضح فيه أن السماع إذا اقترن بشئ من المحرمات أو اتخذ سببا في إرتكاب المحرمات كان هذا السماع محرماً، أما إذا سلم هذا السماع من ذلك وكان دعوة إلى الطاعة والعبادة والإقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة كان هذا السماع مباحا لا كراهة فيه.

ويوضح عبد اغلني النابلسي وهو أحد فقهاء القرن الثاني عشر "أن من آفات الأذن أيضاً استماع الملاهي وهي الترنم بأشعار الفسقة وأصوات الدفوف والمزامير في مجالس الخمور ورقص الفتيات الداعي إلى الزنا واللواط لا مطلق استعمال الترنم بآلات اللهو مجرداً عن جميع ذلك في الظاهر والباطن..، لا الخالي من جميع ذلك بلا اضطرار لذلك الاستماع أي ضرورة داعية إليه وعدم إمكان الاحتراز عنه كالتجار في سوق، اذا لم يكن فعل التجارة والغزو والحجيج إلا من استماع الملاهي بالوصف المذكور فإنه لا يضر في أمر الدين[٨٤]".

لا شك أن عبد الغني النابلسي أباح السماع المطلق النير مقترن بالمحرمات مثل الغناء من أجل الحجيج أو الغناء من أجل النداء على تجارة وترويجها وتحقيق الثراء الإقتصادي وأيضاً الغناء في المناسبات مثل العرس والوليمة إذا لم يكن هناك خمور أو اقترن بآلات الهوى والشهوة، بقصد الفاحشة، ومن ثم فإنه يعد استماع الملاهي معصية والتعود عليها والتذاذها فسق وخروج عن حدود الشرع، وهذا ما يوضحه بقوله "استماع الملاهي والجلوس عليها فسق والواجب أن يجتهد ما أمكن أن يسمع ولا بأس بأن يتغنى وحده إذا لم يكن على سبيل اللهو وعن الحسن بن زياد رحمه الله يقول: لا بأس بضرب الدف في العرس وعن أبي يوسف رضي الله عنه "لو ضربت المرأة الدف في غير العرس للصبي لا للغناء لا بأس به"[٨٥]، وفي هذا يقتدي عبد الغني النابلسي بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "استماع الملاهي معصية والجلوس عليها فسق والتلذذ بها من الكفر" وبعد عرض

آراء الصوفية في السماع فسنجد أن الصوفية كانوا متفقين في الباطن مختلفين في الظاهر، فمنهم من عده بدعة تخرج عن حدود الشرع وتحرض على الرذيلة فقال بانكاره، ومنهم من جعل الحكم عليه بحسب التفهم لمعاني المسموع والمناسبة التي يسمع فيها فقال بإجازته، ومنهم من جعله مندوباً وقال بإباحته.

والسماع عند الصوفي عبد الكريم الجيلي ت ٨٣٢هـ وهو من أصحاب وحدة الوجود على ثلاث مراتب، واجد وهو الشخص الذي يحدث له وجد نتيجة لنزول وارد عليه من قبل الحق تعالى ثمرة لصفاء قلبه في السماع، متواجد وهو ذللك الشخص الذي يدعي الوجد في السماع فيقوم بحركات واهتزازات لا صلة لها بالوجد وإنما هي من صنعه، أما المرتبة الثالثة فهي موافق وهو ذلك الشخص الثابت في السماع، قوي الإرادة يستطيع أن يتحكم في جوارحه أثناء السماع، ويحاول تفهم معاني المسموع. فهذه التقسيمات الثلاثة للأشخاص في السماع قد قال بها أيضا الصوفية السابقون على الصوفي عبد لكريم الجيلي، اذ يقول: "اهل السماع في فئات ثلاث يسميهم: واجد ومتواجد وموافق، كما يحصر حركاتهم الصادرة عنهم بأربع أيضاً، فتكون هذه الحركات صادرة، أما عن علم اليقين، أو عين اليقين، أو حقيقة اليقين أو حق اليقين"[٨٦].

ويبدو تأثر الجيلي بمذهبه في وحدة الوجود الذي يفرق فيه بين حق وخلف، وذلك في مجال رياضة السماع، ولذلك فهو يمتدح السماع الذي يحصل في مقام الجمع عند وجود جلا أو شهود جمال، ويشير إلى الأحوال المرتبطة بمقام الجمع في السماع فيجعلها عشرة هي: "المكاشفة – المشاهدة – المعاينة –الحياة – الحياة – القبض – البسط – السكر – الصحو – الاتصال – الانفصال"[٨٧].

موقف الفقهاء ورجال الدين من السماع خاصة عند الصوفية

اختلفت الآراء حول السماع ، هل هو حرام أ حلا، حيث ذهب فريق من العلماء ورجال الدين إلى إباحة السماع، وذهب فريق آخر إلى كراهة سماع الغناء واعتباره مصدراً من مصادر الفسق والزنا واللواط.

وسوف نعرض أهم آراء أئمة الفقه الأربعة وعلماء الدين من بعدهم، الذين ذهبوا إلى عدم إباحة السماع لأصحاب النفوس الضعيفة حتى لا يثير السماع في نفوسهم الشهوة والهوى، ومن بين هذه الآراء رأي أحمد بن حنبل: "إذ روى عنه ابنه عبد الله أنه قال:" الغناء ينبت النفاق في القلب لا يعجبني"[٨٨].

أما مالك بن أنس فإنه نهى عن الغناء وعن استماعه: "وقال إذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة إلا ابراهيم بن سعد وحده"[٨٩].

وكذلك كره أبو حنيفة سماع الغناء وجعله من الذنوب[٩٠]، وكذلك مذهب سائر أهل الكوفة، ابراهيم والشعبي، وحماد، وسفيان الثوري، وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك".

أما مذهب الشافعي في السماع، فقد ذهب إلى كراهة السماع للعوام، بل كان يعتبره مما

يسقط المروءة ولهذا فإن الشافعي يقول "الغناء لهو مكروه يشبه الباطل، ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته". كما نص الشافعي في كتاب أداء القضاء "على أن الرجل اذا داوم على سماع الغناء ردت شهادته وبطلت عدالته"[٩١].

إذن سماع الغناء من الذنوب وما أباحه إلا نفر قليل من الفقهاء ومن أباحه من الفقهاء أيضا لم ير إعلانه في المساجد والبقاع الشريفة وقيل في تفسير قوله تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ"، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: هو الغناء والإستماع إليه[٩٢].

ويوضح هذه الآراء الدكتور عامر النجار إذ يقول "يقصد بالسماع الغناء والموسيقى وهي الضابط للإيقاع وإنشاد الشعر والمنظومات والغناء والرقص والتمايل وهي من أقسام السماع، وبالطبع: اذا كان السماع يهدف اللعب بالغرائز والشهوات فهو منهي عنه، وخاصة رأي أئمة المسلمين المجتهدين التحرز من السماع والإقلال منه خوفاً من أن يؤدي إلى شرور النفس وفسادها، أما الإباحة فللمستمع الذي يتوفر فيه الرغبة في الطاعات وتذكره بما أعده الله لعباده المتقين من الدرجات في الجنة"[٩٣].

هذا وقد هاجم السماع أيضا جملة من علماء المسلمين من بينهم أبو بكر الطرطوشي الذي يصف السماع بأشد الألفاظ تجريحا محاولاً اثبات تجريمه شرعاً وأورد الكثير من الأدلة الشرعية على تحريم الغناء حيث "سئل عن جماعة يجتمعون في محل وينشدون مثل هذه الأشعار وفي هذه:

يا شيخ كف عن المعاصي والذنوب

قبل التفرق والزلل

واعمل لفسك صالحاً

ما دام ينفعك العمل

أما الشباب فقد مضى

ومشيب راسك قد نزل

قالوا: أجاب بقوله: مذهب هؤلاء بطالة وجهالة، إلى أن قال: وما الإسلام إلا كتاب الله وسنة رسوله إلى آخر كلامه"[٩٤].

فهجوم الطرطوشي على سماع الأناشيد والأشعار عند الصوفية خطأ كبير، فكيف ينكر أبياتا تحث على ترك المعاصي والذنوب وتدعو إلى اليقظة وعدم الغفلة والدعوة إلى العلم النافع، أما اذا كان إنكاره خوفاً على المريد من أن يشغله السماع عن القيام بالطاعات والواجبات التي تدعو إليها الأبيات فهذا صحيح وواجب حتى لا يضيع المريد وقته في السماع فقط دون التفهم لما يسمعه، وهذا ما يوضحه القول السابق.

كما هاجم السماع، أيضاً ابن القيم ت٧٥١هـ وهو من فقهاء القرن السابع الهجري، ونقد مسالك الصوفية في الغناء والرقص وذكر أدلة على كراهة الغناء والآثار الناجمة عن سماعهن وكان في أغلب أحواله من ألد خصوم الصوفية في هذه المسألة، وقد أنكر عليهم حب الغناء الشيطاني ويستشهد بقول ابن مسعود "الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء

البقل ويذكر أنه شاهد ثقل القرآن على أهل الغناء والسماع"[٩٥].

أنه لا يتحرر الكلام في هذه المسألة إلا بعد معرفة صورة المسموع وحقيقته ومرتبته، ولن يجعل الله من سمع الآيات البينات كمن سمع الغناء والأبيات، ولهذا يرى ابن القيم أن من اهتم بسماع الغناء لذاته ضل وبعد عن طريق الحق، وأصبح سماع القرآن ثقيلا على قلبه: ذلك لقسوة قلبه وفساده بالغناء الخارج المثير للشهوة. هذا ما يؤكده بقوله: "لا تجد أحداً عني بالغناء وسماع آلاته إلا وفيه خلال عن طريق الهوى علما وعملا وفيه رغبة عن استماع القرآن إلى استماع الغناء بحيث إذا عرض له سماع الغناء وسماع القرآن عدل عن هذا إلى ذاك وثقل عليه سماع القرآن وربما حمله الحال على أن يسكت القارئ ويستطيل قراءته ويتزيد المغني ويستقصر توبته"[٩٦].

ومن الفقهاء أيضاً الذين هاجموا الصوفية في القول بسماع الأناشيد والرباعيات هو ابن تيمية الذي اعتبر سماع الرباعيات والرقص بالإيقاع كفراً وفسقاً، وهذا ما يؤكده بقوله: "وما جرى على وصف المرئيات ونعت المخلوقات فاستماع ذلك كفر، واستماع الغناء والرباعيات على الله كفر، والرقص بالإيقاع ونعت الرقاصين على أحكام الدين فسق، وعلى أحكام التواجد والغناء لهو ولعب، وحرام على كل من يسمع القصائد والرباعيات الملحنة...، إلا لمن تقدم له العلم بأحكام التوحيد ومعرفة أسمائه وصفاته...، فيكون استماعه كما قال تعالى – في سورة الزمر: آية ١٨، " الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ" وكل من جهل ذلك وقصد استماعه على الله غير تفصيل فهو كافر لا محالة"[٩٧].

ومن ثم فإن السماع المحدث وهو سماع الغناء والآلات الموسيقية، فلم يكن الصحابة والتابعون لهم يجعلون هذا طريقاً إلى الله تعالى، ولا يعدونه من القرب والطاعات، بل يعدونه من البدع المذمومة.

إذن فالسماع من حيث هو سماع لا حرمة فيه وإنما إذا اتخذ هذا السماع وسيلة وأداة إلى طريق المحرمات كان هذا السماع محرما عند أجلة القوم والفقهاء.

ومن رجال الدين أيضاً الذين كرهوا سماع الغناء واعتباره وسيلة وأداة توصل المريد إلى سخط الحق تعالى هو ابن قدامة ت٦٢٠هـ، اذ يقول: "فأما من يجعله دينا ويجعل استماعه واستماع الغناء: قربة وطريقاً إلى الله سبحانه فلا يكاد يوصله ذلك إلا إلى سخط الله ومقته"[٩٨]، ومن ثم فقد أعد الفقهاء سماع الغناء والشعر هو السماع الشيطاني، وسماع القرآن الكريم والحكم هو السماع الروحاني.

وإذا كان معظم الفقهاء رفضوا سماع الأناشيد بالدف، فإن طاهر المقدسي ت٥٠٧هـ قد ذهب إلى أن الضرب على الدف وسماعه سنة لا يمكن أن يرفضها إلا جاهل بالسنة، ولذلك قال "وأما ضرب الدف والإستماع إليه فنقول: أنه سنة، سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بضربه لا ينكره إلا جاهل مخالف

للسنة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من رغب عن سنتي فليس مني"، أبو القاسم علي بن أحمد ابن البندار[٩٩].

فالشعر عندما يأمر بالطاعة أو يدعو إلى الحكمة ومكارم الأخلاق والفضيلة، وغير ذلك من خصال الخير، لا يمكن لأي عالم بالدين أن يجهله، فالشعر غذاء للأرواح مثل الطعام للبدن، أما إذا كان هذا الشعر يدعو إلى المجون واللهو والمعصية والرذيلة، فإنه لا يباح سماعه، وهذا ما يدعو إليه الفقهاء، وقد اتفقت معهم في هذا القول وأيضاً ابن حجر الهيتمي، ت٩٧٣هـ بقوله: "أن كل شعر فيه الأمر بالطاعة، أو كان حكمة أو كان في مكارم الأخلاق، أو الزهد أو نحو ذلك من خصال الخير، كحث على طاعة أو سنة أو اجتناب معصية يكون كل من إنشائه وإنشاده وسماع سنة، كما صرح به غير واحد من أئمتنا وهو ظاهر، إذ وسيلة الطاعة طاعة"[١٠٠].

ويجمل الشيخ محمود شلتوت آراء الفقهاء في السماع في الإباحة والتحريم بقوله: "فسماع الآلات أو الأصوات الجميلة لا يمكن أن يحرم باعتباره صوت آلة أو صوت إنسان، وإنما يحرم إذا استعين به على محرم أو اتخذ وسيلة إلى محرم أو ألهى عن واجب"[١٠١].

ومن رجال العلم والدين في القرن السابع الهجري عز الدين ابن عبد السلام، اذ يورد السماع في ثلاث مراتب مثله في ذلك مثل باقي الصوفية السابقين عليه اذ يقول: "أن السماع ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١) منها ما هو حرام محض، وهو لأكثر الناس من الشباب، ومن غلبت عليهم شهواتهم ولذاتهم فلا يحرك السماع منهم إلا ما الغالب عليهم وعلى قلوبهم من الصفات الذميمة سيما في زماننا هذا وتكدر أحوالنا وفساد أعمالنا.

٢) ومنها ما هو مباح لمن لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن واستدعاء السرور والفرح، أو يتذكر غائباً أو ميتاً فيثير حزنه وفرحه بما يسمعه.

٣) ومنها ما هو مندوب: وهو لمن غلب عليه حب الله تعالى والشوق إليه، فلا يحرك السماع منه إلا الصفات المحمودة وتضاعف الشوق إلى الله سبحانه وتعالى...."[١٠٢]. وهكذا يتضح لنا مدى إهتمام الفقها بفكرة السماع وما يثمره في نفس العبد من التحلي بمكارم الأخلاق والفضيلة من خلال السماع الحسن بالصوت الطيب، والبعد عن السماع المثير للهوى والمجون والسمو بالروح إلى عالم الكمال الأخلاقي، وهذا ما يؤكده قول الدكتور عامر النجار: "فإذا كان هدف السماع مجرد اللهو والتسلية واشتغال النفس وانبساطها وسرورها وفسادها وتقوية الغرائز وامتدادها والتذاذها فالسماع مكروه محرم، أما اذا كان السماع بعيداً عن المجون

بريئاً من اللهو يرجو منه صاحبه سمو روحه وارتفاع نفسه بهمته فهو ليس مكروهاً"[١٠٣].

وفي ترك سماع الأشعار، والصوت الموزون مخالفة للنبي صلى الله عليه وسلم، وانحراف عن متابعته ومن خالف النبي، وترك ما فعله عليه السلام، معتقداً تركه فقد كذب القرآن حيث قال الله تعالى: "مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"[١٠٤]. وعن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أن من الشعر لحكمة"[١٠٥،١٠٦].

هوامـش:

١. لسان العرب ٣٦٥/٦.
٢. الصحاح ص٣١٤.
٣. اللمح ص ٣٤٢، الرسالة القشيرية ص٥٠٣، الإحياء ٢٩٢/٢.
٤. الرسالة القشيرية ص٥٢٥.
٥. الغنية ١٠٨/٢.
٦. لسان العرب، لابن منظور.
٧. اللمح في التصوف للسراج الطوسي، ص٣٤٢.
٨. التعرف لمذب أهل التصوف، ص١٦٠.
٩. أرسطو : كتاب النفس، تحقيق د. أحمد فؤاد الأهواني، مراجعة الأب جورج شحاتة قنواتي، دار احيا الكتب الربية، القاهرة، ١٣٨١م، ص٧١، وانظر العراقي أ.د محمد عاطف: مذاهب فلاسفة المشرق، دار المعارف، القاهرة ١٧٨م، الطبعة السادسة، كما بين لنا أيضاً أخوان الصفا كيف تتم عملية ادراك القوة السامعة للأصوات لى اتلاف أنواعها أن الأصوات نوعان: حيوانية وغير حيوانية ذراعان طبيعية وآلية .... وانظر اوان الصفا الرسائل، مطبعة نخبة الأخبار، القاهرة، ١٣٠٥هـ، ص ١٣٧).
١٠. د. أحمد عكاشة: علم النفس الفسيولوجي، دار المعارف، ١٩٦٨م، ص ٩٥:٩١.
١١. د. أحمد عطية، القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٩٠هـ-٩٧٠م، ج٣، ص٤٩٧.
١٢. سورة الشعراء، آية ٢١٢.
١٣. سورة الكهف، آية ١٠١.
١٤. سورة البقرة، آية ٧.
١٥. سورة الأنفال آية ٢١.
١٦. ابن حنبل الامام أحمد: مسند، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٨م، ص٣، وانظر صحيح الباري، اداب ٦٩، أرجه أبو داود وابن ماج وابن حبان والحاكم وصححه من حديث البراء بن عازب وانظر ابي طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب، مكتبة الحلبي ١٩٦٤م، ج١، ص١٢٦.

١٧. أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب، مكتبة مصطفى البابي، القاهرة، ١٦٤، ج١ ،ص١٢٦.
١٨. التحبير: التزين والتحسين.
١٩. ابن قيم الجوزيه: روضة المحبين ونزهة المشتاقين/ مكتبة الحلبي ١٣٠٤هـ، ص٢٦٧٧: ٢٦٨، وانظر قوت القلوب: ج١، ص١٢٦، وانظر صحيح مسلم، وانر القشيري عبد الكريم بن هوزان، تحقيق د. عبد الحليم محمود ومحمود ابن الشريف دار الكتب الحديثة، القارة، ١٩٧٤ ج٢، ص ٦٤٢، وانظر د. محمد مصطفى حلمي: علم التصوف، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٨٩،٩٠، وانظر السهروردي شهاب الدين أبو حفص عمر: عوارف المعارف، الجزء الامس من احياء علوم الدين، مكتبة الحلبي ١٣٨٧هـ – ١٩٦٨م ص١٥٦.
٢٠. روي هذا الحديث بصيغ متعددة، أخرجه البخاري في صحيحه (باب العيدين) ورواه ابن ماجه في سننه عن عائشة، ج١ ص ٦١٢ باب الغناء والدف، وانظر الرسالة القشيرية ج٢، ص٦٣٩، وانظر السراج ابي نصر: اللمع تحقيق د. عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي في سرور دار الكتب الحديثة بمصر ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م، ص٣٤٥، وانظر السهروردي: عوارف المعارف، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٤م، ص٩٧٤، وانظر ابو الفل كمال الدين، الامتاع بأحكام السماع، مطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٤ فقه تيمور، ميكروفيلم ٥٠٠٩٥، تاريخ النسخ ١٢٨٢هـ عدد ورقة ١٥، ص١٠.
٢١. ابن القيسراني طاهر المقدس، كتاب السماع، تحقيق أبو الوفا المراغي، مكتبة لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م، ص٤٦.
٢٢. ابن قيم الجوزيه: حكم الإسلام في الغناء، تحقيق أبو حذيفة ابراهيم ابن محمد، مكتبة الصحابة بطنطا، ١٩٨٥م، ص١١، وانظر كتاب السماع، ص٤٦،٤٧، وانظر أيضاً علوم الدين، ج٢، ص٢٤٣.
٢٣. حكم الإسلام في الغناء: ص١١، وانظر وارف المعارف، ص١٦٢.
٢٤. حكم الإسلام في الغناء ص١٤.
٢٥. معجم اللاهوت الكتابي، دار الشرق، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٤٣٢– ٤٣٣.
٢٦. السهروردي (عبد القاهر أبو النحيب: آداب المريدين، مطوط بدار الكتب المصرية، تصوف ١١٧ مجاميع ميكروفيلم رقم ٥١٨٢٨، ١٧٤ ورقة، ص٤٧، وانظر تحقيق هذا المخطوط (محمد فهيم شلتوت، القاهرة، بدون تاريخ طبع ص١٠٦، ١٠٧، وانظر عوارف المعارف،ص١٧٨، وانر أبو حامد الغزالي مكاشفة القلوب، إلى حرة علام الغيوب، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٨٠م،

ص٣٦١، وانظر قوت القلوب ج٢، ص١٢٢، وانظر ابن عبد السلام عز الدين، حل الرموز ومفاتيح الكنوز، مكتبة جريدة الاسلام، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٦١،٦٢، وانظر ابن عجيبة الحسني: الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، مطبة الجمالية، عام ١٣٢١هـ – ١٩١٣م، الطبعة الثانية، ج٢، ص٢٧٥.

٢٧. الوجد: قال السراج: اختلف أهل التصوف في الوجد: ما هو فقال عمرو ابن عثمان المكي رحمه الله لا يقع على كيفية الوجد عبارة، لأنها سر الله تعالى عند المؤمنين الموقنين وقيل أيضاً: إن الوجد مكاشفات من الحق، ألا ترى أن أحدهم يكون ساكناً فيتحرك ويظهر منه الزفير والشهيق؟ وقد يكون من هو أقوى منه ساكنا في وجده لا يظهر منه شئ من ذلك، وقال الله تعالى: الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم.... سورة الحج آية ٣٥، انظر أبي نصر السراج الطوسي: اللمع، تحقيق د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، مكتبة دار الكتاب الحديثة بمصر، القاهرة، ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م، ص٣٧٥، وانظر إحيا علوم الدين، ج٢، ص٢٨، وانظر الجرجاني: التعريفات ص ٨٢،وانظر د. ذكي مبارك: التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مطبعة الرسالة ١٣٥٧هـ – ١٩٢٨م، ط١، ص٧٣، وانظر أيضاً القشيري: الرسالة القشيرية، ص٥٧.

٢٨. السهروردي أبو نجيب: آداب المريدين، ص٥٠، وانظر أيضاً السهروردي أبو حفص شهاب الدين: عوارف المعارف، ص١٩٧.

٢٩. البصري أبي الحسن: كتاب أدب الدنيا والدين، المطبعة الأميرية، ١٣١٤هـ ١٩٢٣، ص٣٦، ٦٩. أبو سعيد الحسن البصري، كان والده من أهل مسيانة قسبى فهو مولى الأنصار، وكان من أبرز زهاد البصرة وأحد كبار الزهاد في القرن الأول وأوائل الثاني للهجرة، توفي سنة عشرة ومائة للهجرة، انظر الشعراني عبد الوهاب، الطبقات الكبرى، مكتبة صبيح، القاهرة، ١٣٤٣هـ، ج١، ص٣٩، وانظر ابن العماد.شدرات الذهب في أخبار من ذهب، الطبعة الثامنة، دار المعارف، ١٩٨٠م، ج١، ص١٣٦، ١٣٧، وانظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج٣، ص١٢٨، وانظر محمد مصطفى حلمي: الحياة الروحية في الإسلام، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٤هـ ، ١٩٤٥م، ص٧٢، وانظر الشعراني عبد عبد الوهاب المنن الكبرى، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٣٢٢ تصوف، ميكروفيلم ٣٣٠٦٠، بدون ترقيم صفحات.

٣٠. قوت القلوب: ج٢، ص١٢٣، هو عطاء بن أبي رباح، حج عطاء سبعين حجة وتوفي بمكة سنة خمس عشرة ومائة، انظر الطبقات الكبرى، ج١، ص٤٣".

٣١. اللغو: ما يلهي عن الله، وينال اللغو ما لا يوجب وسيلة عند الله، ويقال هو ما صدر عن قلب غافل ويقال هو ما يوجب سماعه اللهو، انظر القشيري (عبد الكريم هوزان) لطائف الإشارات، تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم، تحقيق ابراهيم بسيوني، دار الكتاب العربي، ١٩٨٦، ج٥، ص٧٣.

٣٢. سورة البقرة: آية ٢٢٥.

٣٣. الهروى علي بن محمد سلطان، فتح الأسماع في شرح السماع، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨ تصوف مجاميع/ ميكروفيلم رقم ٥١٨٦١، ص٦٠، وانظر حل الرموز ومفاتيح الكنوز: ص٦٠، وانظر الكوراني نفيس الكردي والغزالي، بوراق الألماع في تكفير من يحرم السماع، مخطوط بدار الكتب ١٧٨م مجاميع، ميكروفيلم رقم ٤٥٥٢، ص٢٥، وانظر الغزالي أبو حامد: مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب، ص٣٦١، ٣٦٢، وانظر التصوف الإسلامي الخالص: ص ٧٧:٧٨، وانظر أيضاً الرسالة القشيرية، ص٢٦١.

٣٤. الأصفهاني أبي نعيم: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، بيروت، ١٩٦٧م، ج٢، ص٣٥٨. وانظر ايضاً ابن الجوزي: صفة الصفوة، مكتبة النهضة الجديدة ١٩٧٠م، ص٢٠٧.

٣٥. الوجد: إما أن يكون ضعيفاً أو قويا، والذي يحجب المريد عن الوجد هو رؤية آثار النفس والتعلق بالأسباب والعلائق الخارجية التي تحجب النفس عن رؤية أو مشاهدة النور الإلهي في حال الوجد، ولهذا قال أبو سعيد بن الأعرابي: الوجد مشاهدة الرقيب وحضور الفهم وملاحظة الغيب، انظر احياء علوم الدين، ج٢، ص٢٩٠، فلوجد اذن ما يصادف القلوب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع وقيل هو بروق تلمع ثم تخمد سريعاً.

٣٦. المناوي عبد الرؤوف: الكواكب الدرية، مكتبة الأزهر عام ١٣٥٧هـ – ١٩٣٨م، ج٢، ص٧٤، سورة الانشقاق: آية (١). ابراهيم بن آدم كان من كورة بلخ من أولاد الملوك، انظر الطبقات الكبرى، ج١، ص٧٦، وانظر نيكلسون رينولد: في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة وتعليق د. أبو العلا عفيفي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩م، ص٤٨.

٣٧. نشأة الفكر الفسفي في الاسلام: ج٣، ص١٧٤،٢٤٢، سورة المدثر: آية ٧، ٨، ٩، سفيان بن سعيد الثوري، ولد سنة

سبع وتسعين، وتوفي بالبصرة سنة احدى وستين ومائة، وكان عالم الأمة وعابدها وزاهدها، انظر الطبقات الكبرى: ج١، ص٥٢.

٣٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ج١، ص١٩٨، وانظر الطبقات الكبرى: ج١، ص ٧٥، ٧٦، أبو علي الفضيل بن عياض خرساني من ناحية مرو وقيل أنه ولد بسمرقند ونشأ بأبيور ومات بمكة في المحرم سنة سبع وثمانين ومائة، انظر الرسالة القشيرية، ص١٥، وانظر الطبقات الكبرى: ج١، ص٧٥.

٣٩. الهروي ابراهيم الأنصاري: كشف القناع عن حكم الوجد والسماع، تحقيق ودراسة قسم التحقيق بدير الأدباء الدومينكي، دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٩٩٢م، ص ٢٦.

٤٠. الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين، مطبعة الحلبي ١٣٨٧م، ١٩٦٧م، ج٢، ص ٣٥٢:٣٥١ أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني، داران قرية من قرى دمشق مات سنة خمس عشرة ومائتين، وكان يقول من صدق في ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه والله تعالى أكرم، انظر الرسالة القشيرية: ص٢٥، وانظر الطبقاتى الكبرى، ج١، ص٨٨.

٤١. إحياء علوم الدين: ج٢، ص٣٧٢، وانظر اللمع: ص٣٤٢، وانظر الرسالة القشيرية: ص٢٦٤، وانظر د. عبد الحليم محمود: العارف بالله ذو النون المصري، دار الكتب ١٩٧٣م، ص١٥٧. أبو الفيض ذو النون المصري، اسمه ثوبان بن ابراهيم، كان أبوه نوبيا توفى سنة خمس وأربعين ومائتين بالجيزة بمصر، الطبقات الكبرى: ج١، ص٧٧ وانظر مجمع اللغة العربية: المعجم الكبير، المجلد الأول القسم الأول الأخميمي، المطبعة الأميرية، ١٩٥٦م.

٤٢. فتح الأسماع في شرح السماع: ص٨٦. أبو محمد سهل عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري صحب خالد ومحمد بن سوار، مات سهل سنة ثلاثة وثمانين ومائتين، انظر الطبقات الكبرك ج١، ص٨٦:٨٥، وانظر طبقات الصوفية: ص١٩٩ وانظر أيضاً احمد عطية الله: القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، ج٣، ص٥٤١.

٤٣. بوراق الألماع في تكفير من يحرم السماع: ص ٣٤، وانظر الهيتمي ابن حجر كف الرعاع من محرمات اللهو والسماع، حكم الإسلام في الغناء والموسيقى والشطرنج، تحقيق عادل عبد المنعم أبو العباس، مكتبة القرآن، ١٩٨٩م، ص٢٦، وانظر الكلاباذي أبو بكر محمد: التعريف لمذهب أهل التصوف، تحقيق محمود أمين النواوي، مكتبة الكليات الأزهرية عام ١٤٠٠هـ -

١٩٨٠م، الطبعة الثانية، ص١٩١، وانظر أيضاً معجم مصطلحات الصوفية: ص١٣٤، وانظر قول أبو عثمان الحيري في الرسالة القشيرية: ص٢٦٦. (سيد الطائفة أبو القاسم الجنيد بن محمد الزجاج، كان أبوه يبيع الزجاج، فلذلك يقال له القواريري أصله من نهاوند ومولده ومنشؤه بالعراق صحب السر السقطي والحرث المحاسبي ومحمد بن علي القصاب، مات سنة سبع وتسعين ومائتين، انظر الطبقات الكبرى، ج١، ص٩٣.

٤٤. عبد الرحمن السلمي: طبقات لصوفية، طبعة الخانجي عام ١٩٥٣، ص٣٣٩. ابن مسروق من أفضل أهل طوس، سكن بغداد ومات بها سنة تسع وتسعين ومائتين، انظر الطبقات الكبرى: ج١، وانظر أيضاً طبقات الصوفية، طبعة ليدن، ١٩٦٠م، ص٢٣٣.

٤٥. ءطبقات الصوفية: ص٣٧٥ طبعة الخانجي ١٩٥٣م، وانظر عوارف المعارف: ص١٦٦ هو محمد بن علي بن جعفر الكتاني وكنيته ابو بكر ويقال ابو عبد الله وأبو بكر أصح، اصله من بغداد صحب الجنيد وابا سعيد الخراز وابا الحسن النووي، أقام بمكة الى أن مات سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة، انظر الطبقات الكبرى: ج١، ص١٧٢، وانظر أيضا طبقات الصوفية ، طبعة ليدن، ص٣٨٦.

٤٦. اللمع: ص٣٤٢، وانظر الرسالة القشيرية: ص٢٦٥، وانظر بوراق الألماع في تكفير من يحرم السماع: ص٣، وانظر عبد الغني النابلسي: الحديقة الندية شرح الحديقة المحمدية، دار الكتب عام ١٩٢١م، ج٢، ص٤٠٧، وانظر معجم مصطلحات الصوفية: ص١٣٤، وانظر الإمام أحمد الغزالي: بوراق الالماع في تكفير من يحرم السماع، تحقيق هشام عبد العزيز، مجلة القاهرة، عدد ١٤٨ مارس ١٩٩٥م، ص ١٦٤–١٨٥. أبو بكر بن حجرد الشبلي، خرساني الأصل بغدادي المولد والمنشأ، صحب أبا القاسم الجنيد ومن عاصره من المشايخ، عاش سبعا وثمانين سنة، ومات سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ودفن ببغداد في مقبرة الخيزران، انظر الطبقات الكبرى، ج١، ص١١٥.

٤٧. أبو نصر السراج، اللمع، ص٢٥١، وانظر السهروري: آداب لمريدين، ص٤٩، وانظر ابن قيم الجوزية، تلبيس ابليس، مكتبة النهضة ١٩٢٨م، ص٢٤٨. قول أبي علي الدقاق، أبو نصر عبد الله بن علي السراك الطوسي، الملقب بطاووس الفقراء، ص٢٤٨ ت٣٧٨هـ، يقول عنه صاحب النفحات هو عبد الله بن علي بن محمد ابن يحي الصوفي الزاهد، صاحب اللمع في التصوف، انظر اللمع، ص ١٢:١٤.

٤٨. هو أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، ولد في شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلثمائة وتوفي صبيحة يوم الأحد سادس عشر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة بمدينة نيسابور، انظر الرسالة القشيرية في عام التصوف شرح زكريا الأنصاري، ص١.

٤٩. رسالة في السماع والتواجد: المؤلف مجهول، مخطوط بدار الكتب المصرية، تصوف رقم ٦٩٥، ميكروفيلم رقم ٣٧٥١٢، عدد ورقة ٨، ص١.

٥٠. احياء علوم الدين، ج٢، ص٣٤٥. يعتبر الإمام الغزالي أكبر مدافع عن الإسلام عن التصوف: هو محمد بن محمد ابن محمد بن أحمد بن أحمد الملقب بأبي حامد والمعروف لعلو مكانته بحجة الإسلام، وقد ولد بطوس من أعمال خراسان عم ٤٥٠هـ، وظل الغزالي ملازما أستاذه الجويني الى أن توفي هذا الأخير سنة ٤٧٨هـ، وانتقل الى ربه سنة ٥٠٥هـ، وقد الف عددا ضخما من الكتب والرسائل، انظر أ.د/ ابو الوفا التفتازاني: مدخل الى التصوف الإسلامي، دار الثقافة عام ١٩٧٤م، ص ١٨٢: ١٨٣.

٥١. الغزالي: المرشد الأمين إلى موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، مطبعة الحلبي ١٣٨٩هـ، ١٢٩٦٩م، الطبعة الثلثة، ص١١٠، وانظر إحياء علوم الدين، ج١، ص ٢٦٩.

٥٢. إحياء علوم الدين: ج٢، ص٣٥١، وانظر المرشد الأمين إلى موعظة المؤمنين، ص١١٢.

٥٣. ابن حزم: الأخلاق والسياسة، تحقيق صلاح الدين بسيوني رسلان، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٥، ص٢٨٤-٢٨٥.

٥٤. الأخلاق والسياسة عند ان حزم، ص٢٨٨.

٥٥. الأخلاق والسياسة عند ابن حزم: ص ٢٨٥- ٢٨٦، وانظر السجستاني أبي داود: سنن أبي داود مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الحلبي ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م، ج٤، ص٢٨١-٢٨٢، وانظر ابن أبي الدنيا، الحافظ كتاب الورع، حققه وخرج أحاديثه مسعد عبد الحميد السعدني، مكتبة القرآن الكريم ١٩٩٣م، ص٣٠، وانظر البيجاوي، ميزان الاعتدال، مطبعة الحلبي، ١٣٨٣هـ، الطبعة الأولى، ج٤، ص٨٤، وانظر أحمد ابن حنبل: مسند، ص٢، ٨، ، ٣٨، وانظر ابن ماجه: كتاب النكاح ص٢١، وكتاب الطهارة، ص٥٢، وانظر حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ج٦، ص١٢٩، وانظر تهذيب التهذيب: ج١٠، ص ٤٢-٤٤، وانظر ابن قتامه: ذم ...الرقص والسماع، تحقيق ابن عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، سهير محمد مختار، دار الكتب، عام ١٩٧٦م،

ص٥٠، وانظر إحياء علوم الدين ج٢، ص٢٩٩.

٥٦. الأخلاق والسياسة عند ابن حزم، ص٢٨٦.

٥٧. الغزالي أبو حامد: تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف، ١٣٨٥هـ، ١٩٦٦م، ص٢٠، وانظر السماني، عبد الحمود نور الدائم، النظرة العلمية لأهل الطريقةالصوفية، دار الكتب، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.

٥٨. الأخلاق والسياسة عند ابن حزم، ص٢٨٧.

٥٩. د. قاسم غني: تاريخ التصوف في الإسلام، ترجمة صادق نشأت ومراجعة أحمد ناجي القيس، د. محمد مصطفى حلمي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م، ج٢، ص٥٧١.

٦٠. عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية، ولد في جيلان ٤٧٠هـ، ورحل الى بغدد سنة ٤٧٨هـ، ودرس فقه الحنابلة وسلك طريق الصوفية، توفي سنة احدى وستين وخمسمائة ودفن ببغداد، مدخل بالتصوف الإسلامي، ص٢٨٦-٢٨٧، وانظر أيضاً الطبقات الكبرى، ج١، ص١٤٠.

٦١. الجيلاني عبد القادر، الحق في الاخلاق والتصوف والآداب الإسلامية، مطبعة الحلبي، ١٩٥٦م، الطبعة الثالثة، ص١٨٠، وانظر المطبعة الأميرية بمكة، ١٢٣١٤هـ، ج٢، ص٧.

٦٢. الرفاعي أحمد: الفجر المنير، مطبعة بولاق، ١٣٠٠هـ، ص٧٩. ولد الإمام أحمد الرفاعي في أم عبيدة، وهي جزيرة قرب واصل بالعراق عام ٥١٢هـ، وهو ابن صالح أحمد محي الدين بن العباس والمعروف بالرفاعي الكبير، وقد حفظ ارفاعي القرآن الكريم وهوصغير جداً، ونظر الإمام الرفاعي طريقه، انظر الطبقات الكبرى ج١، ص ١٥٦- ١٦١.

٦٣. الطريقة الشاذلية هي المنسوبة إلى أبي الحسن الشاذلي، وهو صوفي بارز سني الاتجاه، وأصله من شاذلة بتونس، ووفد الى مصر ومعه جملة من تلاميذه ومريديه واستوطنوا مدينة الإسكندرية. وكان ذلك حوالي سنة ٦٤٢هـ، ثم كونوا مدرسة صوفية مشهورة بها، وكان من أبرز من وفد مع الشاذلي الى مصر من تلاميذه أبو العباس المرسي، وهو الذي خلفه في قيادة أتباع الطريقة في حياتهوبعد مماته، وظل قائماً عليها حتى توفي بالإسكندرية سنة ٦٨٦هـ، وكان تصوف الشاذلي والمرسي واب عطاء الله وهو أركان المدرسة الشاذلية مبتعدا عن تيار مدرسة ابن عربي ومذهبه وتأثرهم به، انظر د.ابو الوفا التفتازاني: مدخل الى التصوف الاسلامي دار الثقافة

للطباعة والنشر، ١٩٧٩م، ص ٢٣٩-٢٤٠.

٦٤. د. عامر النجار: الطرق الصوفية في مصر، نشأتها ونظمها وروادها (الجيلاني – الرفاعي – البدوي – الشاذلي – الدسوقي) الطبعة الثالثة، دار المعارف، ١٩٨٧، ص٢٠٩.

٦٥. الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، ص٢١.

٦٦. ابن عجيبة الحسني: الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، ج٢، ص٢٧٨. تاج الدين بن عطاء الله السندري وهو تلميذ الشيخ ياقوت العريشي، وأبي العباس المرسي، مات سنة سبع وسبعمائة ومن أهم مؤلفاته... في إسقاط التدبير، وكتاب الحكم، ولطائف المنن، وانظر الطبقات الكبرى، ج٢، ص٧٣.

٦٧. ابن عربي محيي الدين: مواقع النجوم ومطالع أهله الأسرار، مكتبة صبيح، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٥م، ص٧٢. – ولد ابو بكر محمد بن علي من قبيلة حاتم الطائي، والمعروف باسم ابن عربي وبألقاب محيي الدين والشيخ الأكبر، وابن أفلاطون، ولدن في مدينة مرسية في ١٧ رمضان سنة ٥٦٠ هـ، في عهد خلافة المستنجد في المشرق، وكان من أسرة نبيلة غنية وافرة التقوى، توفي في دمشق في منزل ابن الزكي سنة ثمان وستمائة، ١٦ نوفمبر سنة ١٢٤٠م، انظر آسين بلاثيوس: ابن عربي حياته ومذهبه، ترجمة عن الاسبانية د/ عبد الرحمن بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥م، ص ٥-٩٢.

٦٨. آسين بلاثيوس: ابن عربي حياته ومذهبه، ص١٧٦.

٦٩. المرجع السابق: ص١٧٦.

٧٠. آسين بلاثيوس: ابن عربي حياته ومذهبه، ص١٧٨، ١٧٩.

٧١. سورة الأعراف: آية ٢٠٤.

٧٢. سورة الإسراء: آية ٩.

٧٣. ابن عربي حياته ومذهبه، ص١٧٩.

٧٤. مواقع النجوم، ص١٦٤.

٧٥. ابن عربي محيي الدين: الفتوحات المكية، القاهرة، مطبعة بولاق، ١٨٧٦م، ج٢، ص٤٨٥.

٧٦. التاذقي محمد بن يحيي: قلائد الجواهر في مناقب عبد القادر، وبهامشه فتوح الغيب لمحي الدين عبد القادر الجيلاني، مطبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الثالثة، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م، ص٧١.

٧٧. أ.د/ ابو الوفا التفتازاني: ابن سبعين وفلسفته الصوفية، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى عام ١٩٧٣م، ص٤٥١.
هو عبد الحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر بن محمد، ويلقب من الألقاب المشرقية بقطب الدين، وهو ينسب إلى عدة بلاد فينسب الى بلاد الأندلس فيلقب بالأندلسي، وينسب إلى مرسية فيقال له

المرسي، يقع مولد ابن سبعين أذن في النصف الأول من القرن السابع الهجري، وذلك في أواخر عصر الموحدين بالأندلس، ولد سنة ٦١٤هـ، وتوفي سنة ٦٦٩هـ، انظر ابن سبعين وفلسفته الصوفية، ص٢٥– ٣٠.

٧٨. أ.د/ ابو الوفا التفتازاني: ابن سبعين وفلسفته الصوفية، ص٤٥١– ٤٥٢.

٧٩. بو بكر عبد الله بن شاهاور: منارات السائرين ومقامات الطائرين، تحقيق سعيد عبد الفتاح، دار سعاد الصباح، ١٩٩٣م، ص٥٢٥– ٥٢٦.

٨٠. ابن سبعين: الرسائل، رسالة العهد، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دار الطباعة الحديثة، ١٩٦٥م، ص١٠٠.

٨١. ابن عربي محيي الدين: الرسائل ، رسالة روح القدس، تصحيح عبد الرحمن حسن محمود، تقديم بدوي طه علام، مكتبة عالم الفكر ١٤٠٩هـ– ١٩٨٩م، ص٦١.

٨٢. رسالة روح القدس: ص٤٠، وانظر عبد الغني النابلسي: الحديقة الندية في شرح الطريقة المحمدية، مكتبة دار الكتب، ١٩٢١، ج٢،ص٤٠٦.

٨٣. عبد الغني النابلسي: الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، ج٢، ص٤٠٥:٤٠٤، وانظر عامر النجار: الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، ص٥٧.

٨٤. عبد الغني النابلسي، ايضاح الدلالات وسماع الآلات، مخطوط بدار الكتب المصرية، ... تصوف٨٦٠، ميكروفيلم رقم ٣٤٩٥٩، عدد ورقة ٤٠، ص٤.

٨٥. سهيلة عبد الباعث الترجمان: نظرية الإنسان الكامل عند عبد الكريم الجيلي، رسالة ماجيستير، جامعة القاهرة، ١٩٧٨م، ص٢٤٥.

٨٦. نظرية الانسان الكامل عند عبد الكريم الجيلي، ص٢٤٦.

٨٧. ابن الجوزي ابو الفرج عبد الرحمن: تلبيس ابليس، المطبعة المنبرية، ١٣٤٧هـ، ص٢٢٨.

٨٨. تلبيس ابليس: ص٢٢٩، وانظر احياء علوم الدين، ج٢، ص٢٣٨.

٨٩. نفس لمرجع السابق، ص٢٢٩، وانظر احياء علوم الدين ج٢، ص٢٣٨هـ، ص٢٢٨، وانظر طاهر المقدس: كتاب السماع، تحقيق ابو الوفا المراغي، لجنة احياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م، تحقيق ابو الوفا المراغي، لجنة احياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٣٩٠هـ، – ١٩٧٠م، ص٦٤،٦٣.

٩٠. تلبي ابليس: ص٢٣٠ وانظر الرسالة القشيرية، تحقيق د. عبد الحليم محمود: ج٢، ص٦٣٨، وانظرر السهروردي، عوارف المعارف الجزء الخامس من احياء علوم الدين ص١٦٢.

٩١. عوارف المعارف: ص١٦٢، سورة لقمان: اية ٦

٩٢. د. عامر النجار: الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها ص٥٦:٥٥.

٩٣. محمد بن أحمد نور بن حمدين: قطع النزاع وكشف القناع عن دليل جواز السماع، مكتبة الحلبي، ١٣٨٣م- ١٩٦٤م، ص ١٦-١٧-٣٨، وانظر ايضا ابن قيم الجوزية: اغاثة اللهفان في مصايد الشيطان وبهامشه كتاب الهجرتين باب السعادتين، المطبعة اليمنية عام ١٣٢٠هـ، ص١٢٠.

٩٤. ابن القيم: مدارج السالكين، تعليق السيد محمد رشيد رضا، مطبعة المنار بمصر عام ١٣٣٢هـ، ج١، ص٢٧٥، وانظر د. زكي مبارك، التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مطابع دار الكتاب العربي بمصر عام ١٣٧٣هـ، ١٩٥٤م، الطبعة الثانية، ج٢، ص٢٦٧.

٩٥. ابن القيم : الروح، دار المعارف، ١٣٢٤هـ، ١٩٣٠م، ص ٤٢٣- ٤٢٤- وانظر مدارج السالكين، ج١، ص٢٧٤، وانظر اغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، ص١٢٩، وانظر ابن القيم: حكم الاسلام في الغناء، تحقيق ابو حذيفة ابراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة بطنطا، ١٩٨٦، ص٢٧، وانظر روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص١٣٥،١٣٦.

٩٦. ابن تيمية تقي الدين أحمد: التقوى الحموية الكبرى، دار الكتب المصرية، ١٣٨٧هـ، القاهرة، ص٥٧، وانظر الصوفية والفقراء، ص ١٣٣- ١٣٤.

٩٧. فتيا في ذم الشبابة والرقص والسماع، ص٦٢. ابن قدامة هو ابو محمد موفق الدين عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي، ولد بجماعيل من علم نابلس قرب بيت المقدس بفلسطين في شعبان سنة ٥٤١هـ، وارتحل مع والده الى دمشق حوالي سنة ٥٥١هـ، وتوفي حوالي سنة ٦٢٠هـ، ودفن في سفح قاسيون، وقد جاهد هو وبعض أفراد أسرته مع صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٢هـ، انظر فتيا في ذم الشبابة والرقص والسماع/ ص١٣.

٩٨. طاهر المقدسي ابن القيسراني: كتاب السماع، تحقيق ابو الوفا المراغي، مكتبة لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة ١٣٩٠هـ،- ١٩٧٠م، ص٥١. ابن القيسراني علم من أعلام القرن الخامس، أولع بعلم الحديث، فسافر في طلبه إلى أكثر من أربعين مدينة وبلداً من بلاد العلم الإسلامي، فابن القيسراني هو محمد ابن طاهر بن علي بن احمد بن ابي الحسن الشيباني ابو الفضل المقدسي المعروف بابن القيرائي المولود سنة

٤٤٨هـ وقيل سنة ٥٠٧هـ، وانظر كتاب السماع، ص٢٤-٢٦.

٩٩. ابن حجر الهيتمي : كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع، حكم الإسلام في الغناء والموسيقى والشطرنج ، تحقيق: عادل عبد المنعم ابو العباسن مكتبة القرآن ١٩٨٩،ص٢٦.

١٠٠. عامر النجار الطرق الصوفية، ص٥٨.

١٠١. [1]العز بن عبد السلام: حل الرموز مفاتيح الكنوز، ص٢٩:٢٨.

١٠٢. عامر النجار، الطرق الصوفية، ص٥٨.

١٠٣. سورة الحشر: آية ٧.

١٠٤. الحديث أخرجه البخاري من حديث أبي بن كعب في كتاب العلم.

١٠٥. نظر قول الإمام أحمد الغزالي في: بوراق الألماع في تكفير من يحرم السماع، تحقيق هشام عبد العزيز، مجلة القاهرة، العدد ١٤٨، مارس ١٩٩٥، ص١٦٥.

قائمة المصادر والمراجع

اولا : القرآن الكريم .

ثانيا : المراجع المخطوطة .

شرح مشكلات الفتوحات المكية وفتح الابواب المغلقات من العلوم اللدنية ، الشيخ عبدالكريم الجيلي ، مخطوط برقم (٣٧٣٧٢) .

الرسالة الحسينية في كشف حقائق الانسانية ، الشيخ حسين البغدادي ، مخطوط مكتبة الاوقاف العامة ببغداد ، رقم (١٩٣٧٩) .

البوارق النورية ، الشيخ عبدالحميد التبريزي ، مخطوطة متحف دلهي ، الهند ، برقم (DA1778)

الفتوحات المكية ، ابن عربي ، دار صادر ، بيروت .

١٠٦. فصوص الحكم ، الشيخ الاكبر ابن عربي ، بقلم ابو العلا عفيفي ، مكتبة دار الثقافة ، نينوى ، ط٢ ، ١٩٨٩م .

١٠٧. الكتاب التذكاري (محي الدين بن عربي) في الذكرى المئوية الثامنة لميلاده ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، اشرف عليه وقدم له : د.ابراهيم بيومي مدكور ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

١٠٨. محمد بن اسحاق (صدر الدين القونوي) ، النصوص في تحقيق الطور المخصوص دراسة وتحقيق دكتور ابراهيم ياسين ، المنصورة ، ١٩٩٩م .

١٠٩. السماع عند صوفية الاسلام د. فاطمة فؤاد، تصدير د. عاطف العراقي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٨م.

١١٠. المعجم الصوفي ، د. سعاد الحكيم ، ندرة للطباعة والنشر (بيروت) ، ط١ ، ١٤٠١هـ .

١١١. الموسوعة الفلسفية ، وضع لجنة من العلماء، اشراف روزنتال، بودين ، ترجمة سمير كرم ، طبعة بيروت ، ١٩٨١م .

١١٢.معجم مصطلحات الصوفية ، د. عبدالمنعم الحفني ، دار المسيرة بيروت الطبعة الاولى سنة ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م.
١١٣.محي الدين بن عربي ، الفتوحات المكية ، ضبطه وصحه : احمد شمس العلمية ، ١٩٩٩م ، المجلد ١ ، ص١٥ .

المراجع الاجنبية

1) A.AFFIF , the Mytstical philosophy of muhyid din Tbn _ EL Arabic arm bridge , 1993 .
2) Brockelmen , Geschichte der Aeabi schen , Litter Atur , Berlin 1998 , and supplement bonde , London 1939 .
3) Jacob Needleman , Asense of cosmos , London , Arkana edition 1988 .
4) John white , what is Enlight ement , the unitive Life U.K , 1939 .
5) Nicholson , the Mystics of Islam , London , 1963 .
6) stace (W) . mysticism and philosophy London ,1961 .